

■ شبابنا أمالنا ■

# الصداقة والشباب

د. أحمد المجدوب

دار مصر للكتاب

15

M



شبابنا آمالنا

لقد المصير ريت اللبنا نيه

## الدار المصرية اللبنانية

16 ش عبد الخالق ثروت - القاهرة

تليفون : 3923525 - 3936743

فاكس : 3909618 - برقياً : دار شادو

ص . ب : 2022 - القاهرة

رقم الإيداع : 2001 / 9741

الترقيم الدولي : 3 - 673 - 270 - 977

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى : جماد أول 1422 هـ - أغسطس 2001 م .

جمع وطبع : عربية للطباعة والنشر

تليفون : 3256098 - 3251043

---

المدير العام : محمد رشاد

مستشار الدار : أ.د. حسن عبد الشافي

المشرف الفني : محمد حجي

هيئة التحرير :

المشرف العام : أ.د. سيد صبحي

مستشار التحرير : أ.د. أحمد المجدوب

مستشار التحرير : الشيخ منصور الرفاعي

---

شبابنا أماننا

# الصداقة والشباب

أ.د. أحمد علي المجدوب

المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجناية

المنشور

دار الفكر العربي

الغلاف : محمد حجي  
الرسوم الداخلية للفنان البلجيكي : فرانز مازريل (١٨٨٩ - ١٩٧٢).

## لماذا هذه السلسلة؟

### شبابنا آمالنا . .

صحيحة تنطلق من احترامنا لهذه الفترة العمرية من حياة الإنسان ، ولعل هذا الاحترام ينال مع المراحل النائية السابقة كل الاعتبار ؛ لأن مرحلة الشباب من المراحل العمرية التي تتميز بالقابلية للنمو في النواحي الجسمية والاجتماعية والنفسية والعقلية والتعليمية ، إلى جانب القدرة على الابتكار والمشاركة الفعالة في إحداث التغيير والتطوير في المجتمع الذي يعيشون بين جوانبه ، لأن الشباب هم عماد الأمة ، وأساسها الراسخ الذي يقوم عليه بنيانها . . فإن صلحوا صلح البناء كله ، وإن فسدوا أو اهتزت قيمهم ضعف البناء ، حتى لقد قيل في أحد الأقوال المأثورة : « أمة بلا شباب أقوىاء هي أمة بلا مستقبل . . محكوم عليها بالفناء ! » .

ولما كانت قضايا الشباب من أهم القضايا التي تهتم بها المجتمعات الساعية إلى التقدم ؛ فقد اهتمت « الدار المصرية اللبنانية » بإصدار سلسلة عن الشباب ليقرأها الشباب العربى بنفسه ، فيستطلع فيها أمور يومه وغده ، ويقف على مشاكل حياته وقفة جد تنير له الطريق ، تعرفه بما يجب عليه فعله ، وذلك من خلال هذه السلسلة « شبابنا آمالنا » .

وقد حرص محررو هذه السلسلة على أن تخاطب الشباب مباشرة وليس الآباء أو الأمهات أو المعلمين ، فضمنوها موضوعات تهم الشباب العربى من المحيط إلى الخليج ، حيث إن الاهتمامات بين البيئة العربية واحدة تقريبا ، وإن تباينت من بلد إلى آخر ! كما حرص محررو السلسلة على أن

تناقش بعض القضايا التي تقترب معهم وبهم من الكمال النمائى ، إيماناً منهم بأن هذه المرحلة قد يظهر خلالها بعض الاضطرابات السلوكية ، وبعض جوانب التفاعلات الاجتماعية التي يظهر فيها القبول تارة ، والرفض تارة أخرى . . إلى جانب أنها فترة يظهر فيها - كذلك - جوانب الانتفاء ، والمسئولية ، والعطاء ، إذا أعدت الإعداد السليم . . أو قد نرى فيها بعض الملامح السلوكية التي تجمع ببعض الشباب إلى طريق الاندفاع والثورة والرفض والتبرم والاعتراض ! لذا . . كانت المحاور الرئيسية التي تقوم عليها هذه السلسلة هي : الاهتمام بالجانب الثقافى المعرفى ، والجانب الأخلاقى الدينى ، والجانب النفسى الاجتماعى ، والجانب الرياضى الترويحي ، بالإضافة إلى الجانب الإعلامى الإرشادى ، وأخيراً الجانب التأهيلي المهني . . وذلك من خلال دراسات وآراء كبار الأساتذة والمفكرين التي تقوم قضايا ومشكلات الشباب من منظور أخلاقى ؛ حمايةً ووقايةً للشباب .

وإننا نقدم هذه السلسلة إيماناً منا بأن الشاب العربى الذى ينتسب إلى طائفة العاملين الجادين ؛ ينتسب بدوره إلى فئة الأبرار . . تلك التي تحرسها الملائكة لأنهم يعملون من أجل رفعة أوطانهم ، فتحفهم بدعوات صادقة ، وتحذرهم فى نفس الوقت حين يتهددتهم خطر الضلال الذى قد يضطرهم إلى القيام بكثير من الأعمال التي تنحرف بهم عن جادة الطريق .

. . والله الهادى إلى سواء السبيل . . .



## تقديم

الصداقة قيمة وأمل وإنجاز ، فهي من حيث كونها قيمة لأنها تجعلنا نتخلص من سلوك الأنانية البغيض من خلال الوفاء والإخلاص المتبادل ، ومن حيث هي أمل لأنها تكوّن من خلال المودة والتفاعل المثمر ذلك السياج الواقى الذى يحمى الأوفياء من الأصدقاء من الوقوع فى براثن الخطأ . . ثم هي إنجاز لأنها تدفع إلى التقدم والارتقاء من خلال التطلع الخصب الذى ينسجه كل صديق على منوال الوفاء والمحبة .

إن الصداقة تمثل لغة الوجدان الراقى الذى يغذى العلاقات الإنسانية برحيق الصفاء بعيدا عن التقوقع أو الاستحواذ ، فالصداقة عطاء وذوق وتضحية وإخلاص وفروسية .

إن الصداقة المخلصة غرس نبيل سوف يجعل كل صديق يرى غرسه الطيب فى كل مواسم الحصاد الواعية فيلمسه فى عيون الصديق الصادقة والأمانة والوفية . . تلك التى تعرف معنى العطاء وتقدر معنى السخاء ، ولسوف تكون البداية دائما مع الصديق ومع العطاء . . وهى بداية مشرقة حيث لا يعرف العطاء إلا الأمل والوفاء والصدق والوضوح والتفاعل الأمين والمحبة الخالصة . ومن هنا كان هذا الكتاب الذى يتناول الصداقة والأصدقاء إيماناً منا بأن الشباب الواعى هو الذى يعرف معنى الصداقة ويسعى إليها مخلصاً ووفياً .

هيئة التحرير



## مقدمة

تفرض طبيعة الحياة الاجتماعية على الفرد أن يدخل في علاقات مع الآخرين ، وأن يتبادل معهم المشاعر والأحاسيس . ولا يوجد فرد في هذه الدنيا ليس له علاقة من نوع ما بآخرين . . فهو على الأقل ابن لأبوين أنجباه ، وبالتالي فهو عضو في أسرة هي بدورها جزء من عائلة . . وهكذا . ومع تقدمه في السن تزداد علاقاته بالآخرين وتنوع ، فهو جار وتلميذ في المدرسة وفي العمل وعضو في أحد الأندية أو في نقابة أو في جمعية ، ثم هو زوج ورب أسرة ، وهو ما يسمى بعلاقة المصاهرة .

وكما لاحظنا ، فإن هذه العلاقات ، كلها أو معظمها ، مفروضة على الشخص وليس لإرادته دخل في الارتباط بها ، فهو ابن وأخ وحفيد ، وبالتالي قريب لعدد لا يحصى من الأقارب والأصهار لا شيء إلا لأنه ولد لأبوين معينين ، وهو جار لأنه لا يستطيع أن يقيم وحيدا في مكان لا يقيم فيه أحد ، ثم هو زميل ، سواء في المدرسة أو في العمل أو في ناد أو في نقابة أو في جمعية إلى غير ذلك من التنظيمات الاجتماعية ، لأنه لا بد أن يتعلم وإن لم يفعل فلا بد أن يعمل ، فإذا عمل فقد يتطلب ذلك أن يكون عضوا في نقابة أو في جمعية أو في غير ذلك من التنظيمات التي تهدف إلى حماية أعضائها ورعاية مصالحهم . وأخيرا يتزوج فيصاهر ، ثم ينجب . . وهكذا دواليك . وفي كل هذه الأحوال يتعامل مع آخرين قد يجد في نفسه رغبة في أن يتخذ من واحد منهم أو أكثر صديقا أو أصدقاء .

ولكن هل من السهل أن يتخذ الشخص صديقا أو أكثر ، أم أن ذلك قد

يكون أمرا صعبا ؟ وإذا كان الأمر صعبا حقا ، فلما هو كذلك ؟ هل لأننا لا نعرف المعنى الحقيقي للصداقة فنخلط بينها وبين غيرها من العلاقات الاجتماعية ؟ أم هل لأننا لا نعرف أو لا نجاد الطريقة التي نقيم بها صداقة مع الآخرين أو لا نمتلك القدرة أو الموهبة التي تجعلنا ننجح في إقامة صداقة حقيقية وصحيحة مع الآخرين ؟ أم لأن الزمن الذي نحيا فيه يجعل عقد الصداقات الحقيقية والصحيحة أمرا صعبا ؟ . . أم ماذا ؟ !

الحقيقة أن الدخول في علاقة صداقة ليس بالأمر السهل كما قد يظن البعض ، ذلك أن درجات التقبل الاجتماعي تختلف باختلاف مكونات الشخصية والمواقف الاجتماعية ، فقد يسعى شخص لإقامة علاقة صداقة مع شخص أو أشخاص آخرين ، ولكنه لا يصادف قبولا منه أو منهم وتكرر محاولاته ، ولكنه يفشل في كل مرة ، الأمر الذي يترك أثرا سيئا في نفسه ، لا ينبغي أن يستسلم له دون أن يبادر إلى البحث في أسبابه ليعرف لماذا فشل ، وهل الفشل يرجع إليه أم يرجع إلى الآخر أو الآخرين الذين رغب في اتخاذهم أصدقاء . . كأن يكون هو نفسه فيه عيب أو عيوب لا يدركها ، ولكن الآخرين يدركونها ويجدون أنها تحول دون قيام صداقة صحيحة معه ، أو أن يكون اختياره خاطئا يفتقر إلى الأساس السليم .

ولقد كان من المتوقع أن يؤدي التقدم في مضمار الحضارة إلى تقدم مماثل في الصداقة كعلاقة إنسانية راقية تقوم بوظائف بالغة الأهمية في حياة الإنسان ، ولكن الذي حدث هو العكس تماما حيث أدى الطابع المادي الجاف للحضارة الغربية الحديثة إلى إضعاف كل ما كان في حياة الإنسان من قيم ومثل عليا ، وأصبحت المادة هي الهدف من وراء كل العلاقات الإنسانية . وزاد الطين بلة أن بقية شعوب العالم نظرت إلى هذه الحضارة في إعجاب شديد وحاكتها في مساوئها دون حسناتها . . وهكذا قدر للطابع

المادى الجاف للحضارة الغربية أن ينتقل إلى كل أنحاء العالم ليشوه القيم والمثل العليا ، ومن بينها الصداقة التى أصبحت أقرب إلى السلعة منها إلى العلاقة الإنسانية النبيلة والراقية ، وبالتالي فقدت الدور البالغ الأهمية الذى كانت تلعبه فى حياة الإنسان ، والذى لا يقل عن الدور الذى تلعبه علاقة القرابة ، بل قد يزيد فى كثير من الأحيان ، لأن الصديق يكون أقرب إلى نفس الإنسان وعقله ، بل وقلبه من القريب حتى ولو كان أخا . وقدima قالت العرب : القريب قد لا يكون صديقا ، ولكن الصديق دائما قريب . . يقصدون قريب إلى قلب وعقل صديقه ، وهو ما نلاحظه الآن نادرا .

إن الصداقة مثلها فى ذلك مثل القيم ، تتأثر بالتغيرات التى تحدث فى المجتمع فيصيبها الضعف حيناً ، ثم تسترد قوتها حيناً آخر . . وهكذا . وهو ما يرصده الناس بسهولة ، فتراهم يتحدثون دائما عما أصاب الصداقة من ضعف ، ويقارنون بين ما آل إليه حالها وما كانت عليه إلى سنوات مضت ، ونجد من ذلك كما هائلا فى أعمال المفكرين والأدباء ، سواء كان شعرا أو نثرا أو رواية .

ونلاحظ أن التحولات الاقتصادية السريعة. والتى بدأت بما يسمى الانفتاح الاقتصادى ، وما صاحبها من تغيرات اجتماعية عنيفة وعميقة أدت إلى إضعاف القيم الأصلية التى عاش عليها المجتمع طويلا ، وأحلت محلها قيما ذات طبيعة مادية تعلو من شأن المصالح الخاصة وتقدمها على المصالح العامة وكل ما أفرزته من قيم مساعدة ومستقلة على مدى القرون الماضية .

وهكذا رأينا كيف أن الانفتاح الاقتصادى أدى إلى نمو المصالح الخاصة ، ثم غلبتها للمصالح العامة مع التحولات الاقتصادية المستمرة ، وما أدى

إليه ذلك من ترهل العلاقات وضعف الصلات فيما بين الناس ، ومن ضمنها - بل في مقدمتها - الصداقة . كما أن عطاءهم الذى يسهم فى توازن الحياة أخذ يقل باستمرار ، على الرغم من ازدياد ما يستطيعون إعطاءه .

ولأن الشباب لم يعاصروا الأوضاع التى كانت تسود المجتمع قبل التحولات الاقتصادية التى أثرت ، منذ أن بدأت ، فى قيم المجتمع وفى مثله - ومن بينها الصداقة - فأصابها بضعف شديد ، وبالتالي لا يمكنهم أن يقارنوا بين ما كان قائما وما هو موجود الآن ، وهى المقارنة التى لا بد منها للتعرف على ما للصداقة الحقيقية والصحيحة من أهمية ، لا فى حياة الأفراد وحسب ، بل وفى حياة المجتمع كله . لذلك فإننا سنفرد لهذه الأمور كلها فصولا فى هذا الكتيب الذى نرجو أن يكون ، على الرغم من صغر حجمه مفيدا لكل من يقرأه وبخاصة الشباب .

.. وبالله التوفيق ،

د. أحمد المجدوب

## الفصل الأول

### تعريف الصداقة





## أهمية تعريف الصداقة

قبل أن نعرّف الصداقة ، نبدأ فنيين للقارئ العزيز أهمية التعريفات أو المفاهيم بصفة عامة ، والصداقة بصفة خاصة ، حتى لا يتبادر إلى الأذهان أنها شيئاً زائدا لا ضرورة له أو إضافيا يمكن الاستغناء عنه . فالملاحظ أن كثيرا من الفشل الذي يصيب الصداقة بين الناس يرجع ، في حقيقته ، إلى عدم فهمهم لمعنى الصداقة مما جعلهم يسيئون اختيار أصدقائهم أو يسيئون معاملتهم ، فتكون النتيجة فشل الصداقة . وبطبيعة الحال ، فإن الأمر لا يقف عند هذا ، وإنما يتجاوزه إلى ما هو أخطر وأشدّ ضررا ، ألا وهو الآثار الاجتماعية والنفسية التي تترتب على تكرار فشل الشخص في اتخاذ الأصدقاء ، وهو ما سنعرض له في ثنايا هذه الدراسة . لذلك رأينا - ونحن بصدد بيان أهمية التعريف أو المفهوم - أن نذكر واقعة حقيقية خاصة بمفهوم الصداقة ، لكى ندلل بها على ما قد يترتب على الخلط بين المفاهيم من أضرار اجتماعية ومادية .

قد يتساءل البعض عن أهمية التفرقة بين الصداقة وغيرها من أشكال العلاقات الإنسانية ، وما الفرق بين أن أقول عن شخص ما إنه صديقى ، أو أن أقول إنه زميل أو صاحبي أو جارى ؟ وإلى هؤلاء أقول : إن لذلك أهمية من جانبين ، الأول ما يجب أن نلتزم به في كلامنا من دقة ووضوح ، خاصة في هذا الزمن الذي انتشر فيه التعليم وتقدم العلم ، وأصبح لما يسمى بالمفاهيم أو المصطلحات أهمية عظيمة . فالمتعلم والمثقف يجب أن لا يلقي بالكلام على عواهنه أو أن يردده دون أن يكون لديه وعى بمدلوله ، لأن ذلك إن دل على شيء فإنما يدل على استخفافه بمن يتحدث إليهم ، أو على

الأقل جهله بالحديث وافتقاره إلى القدر المعقول من اللباقة وحسن التصرف الذى يجب أن يتحلى به الإنسان المتحضر ..

كذلك فإن اختلاف الكلمات التى تطلق على العلاقات الإنسانية ، مثل : القرابة والصدقة والزمانة .. وغيرها ، ليس السبب فيه الخدلة أو غيرها ، وإنما يرجع إلى اختلاف المعانى .. فقرابة لها معنى غير صدقة ، وهذه معناها غير زمانة .. وهكذا . وفى هذا يقول أبو هلال العسكري (الفروق فى اللغة ، ص ١٣) : إن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعانى ، فالاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة ، وإذا أشير إلى الشئ مرة واحدة فعرف ، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة . كأن تقول مرة : صديقى ، وتقول مرة ثانية : قريبي ، وتقول مرة ثالثة : صاحبي .. كأنها مترادفات تحمل نفس المعنى ، بينما هى فى الحقيقة ليست كذلك .

وبناء عليه ، فإننا إذا صادفنا فيما نقرأه ، أو نسمعه من البعض ، عبارات ، مثل : الصديق والقريب والصاحب والمعرفة والزميل ، فإما أن يكون لكل عبارة منها معنى ، وإلا لكان يكفى ذكر العبارة الأولى فقط واستبعاد العبارات الباقية لعدم الحاجة إليها ، فضلا عن أن استعمالها مضیعة للوقت وتبديد للجهد ، وهو ما لا يجوز أن نفعله .

ولبيان ما لهذا الأمر من أهمية ، أسوق هذه الواقعة الحقيقية التى حدثت بسبب الخلط بين الصدقة وغيرها ، سواء عن جهل أو بدافع المجاملة التى جاءت فى غير محلها .. فذات يوم التقى زميلين فى العمل ببعضهما البعض وكان مع أحدهما شخص قدمه لزميله بوصفه صديقا له ، وبالفعل أیده هذا الشخص فيما قاله ، وأضاف إليه أنه يكن له حبا وتقديرا وثقة .. وغير ذلك من الكلمات التى اعتاد الناس فى مجتمعاتنا ترديدها دون أن يعنوها . وافترق

الثلاثة ، وبعد عدة أيام جاء الزميل إلى زميله وأخبره وقد بدا عليه السرور ، كيف أن فلانا صديقه التقاه في النادي أمس وطلب منه وهو في أشد الحرج أن يقرضه مبلغا من المال ، وأنه استجاب لطلبه وأعطاه مائة جنيه وعده بأن يردها له عن طريق الزميل ، الذى ما إن سمع هذا الكلام حتى ثار وأرغى وأزبد يلوم زميله على تصرفه ويحملة المسئولية كاملة عن ضياع ماله ، لأن هذا الشخص ليس صديقا له ولا حتى زميل ، وإنما هو مجرد معرفة فقال له الضحية : وما أدرانى أنه كذلك وقد قلت عنه أنت بلسانك أنه صديقك ، فما كان من الزميل إلا أن قال له فى بساطة : أنا كنت أجامله !

ويحاول الزميل الذى ضاع ماله أن يجعله يفهم أن هناك فرقا بين أن يقول وهو يقدم الشخص : فلان معرفتى أو تعرفت به أخيرا ، وأن يقول فلان صديقى ، فهو إذا قال : معرفتى أو تعرفت به أخيرا ، إنما يعنى أنها علاقة جديدة سطحية ، وإن رغب فى أن يجامله ، فليقل - مثلا - وكان من حسن حظى أن تعرفت به ، وقد يضيف : وأرجو أن تستمر هذه المعرفة ، وأن تتحول إلى صداقة إن شاء الله . ولكن الزميل الذى أخطأ عاند وكابر وأخذ ينفى أنه ارتكب خطأ ويتهم زميله بأنه هو الذى أخطأ ، فكان مما رد به عليه قوله له : لقد قدمتنى له بصفتى زميلا لك ، ولم تقل إنى صديق على الرغم من أننا نعمل فى مكان واحد ولا يكاد ينقضى يوم دون أن نلتقى ، فقال المخطئ : هذا صحيح فأنت زميل ولست بصديق . فرمقه بشدة ، وهو يقول له : وهو صديق وليس مجرد معرفة ! فبدت عليه الحيرة . وشاءت الظروف أن حضر بعض الناس فاحتكم إليهم المجنى عليه ، وطلب أن يدلوا برأيهم ، فقالوا بلا تردد : إن زميله مخطئ ، وما كان يجب أن يقول عن الرجل النصاب صديقا ، وإنما يقول معرفتى أو تعرفت به أو غير ذلك بما لا يخرج بالعلاقة عن حدودها ، ويجعل من يقدمه إليهم يضعون ثقتهم فيه ،

على اعتبار أن الذى قدمه لهم بوصفه صديق له معروف بالدقة فى اختيار الأصدقاء ، ولا يمكن أن يعرف من هم على هذه الشاكلة .

كذلك فإن إطلاق الأوصاف أو الأسماء كيفما اتفق وبدون توخى الدقة يؤدى إلى مشكلات أخرى لا تقل أهمية عما تقدم . . فبالنسبة للصداقة يترتب على الخلط بينها وبين غيرها من العلاقات الاجتماعية كالمزلة والصحبة ، أن من وقع فى الخلط . . إذا تعامل مع شخص على اعتبار أنه صديق ثم أساء إليه أو لم يوفه حقوقه التى فرضتها الصداقة ، فإنه سرعان ما يوجه النقد الشديد إلى الصداقة ويشكك فى وجودها على النحو الذى سنراه عند تعرضنا لموقف الناس من الصداقة ما بين مؤيد ومعارض ، فى حين أن الخطأ وقع فيه الشخص حيث اعتبر صديقا من ليس كذلك .

فلعلكم تتوخون الدقة فى إطلاق الأوصاف على من قد يكونون فى صحبتكم عندما تلتقون بمعارف أو بأصدقاء أو بأقارب أو بجيران أو بزملاء تلافيا لمثل هذه المشاكل . وأرجو أن أكون قد نجحت فى أن أوضح لكم أهمية المفاهيم أو المصطلحات فى حياتنا العادية ، فضلا عن نشاطنا العلمى .

كذلك ، فإن معانى الكلمات قد تختلف فى بعض الأحوال ، وهو ما يدعو إلى التفرقة بين ما يسمى المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحي . . فالمعنى اللغوى هو المعنى العادى للكلمة . أما المعنى الاصطلاحي ، فهو المعنى الذى تستخدم فيه الكلمة للدلالة على شىء ما قد لا تكون له علاقة بالمعنى اللغوى لها ، غير أنه كثيرا ما يتطابق المعنيان كما هو الحال فى مفهوم الصداقة .

## معنى الصداقة

### أولاً - المعنى اللغوي :

في لسان العرب : الصداقة والمصادقة : المخالة وصادقته مصادقة .  
وصداقا : خالته ، والاسم الصداقة . وتصادقا في الحديث وفي المودة .  
والصداقة مصدر التصديق ، واشتقاقه أنه صدقه المودة والنصيحة .  
والصديق : المصادق لك ، والجمع صدقاء وصدقان وأصدقاء وأصادق .

الفرق بين الصديق والصديق ( بالتشديد ) :

والصديق بالتشديد : من يلتزم بالصدق في قوله وفعله وصحبته :  
﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا﴾<sup>(١)</sup> . ﴿والذين آمنوا بالله  
ورسله أولئك هم الصديقون﴾<sup>(٢)</sup> . ﴿وأمه صديقة﴾<sup>(٣)</sup> ، أى ملتزمة  
بالصديق . والصديق لقب أطلق على الخليفة الأول أبى بكر رضى الله عنه .

### ثانياً - المعنى الاصطلاحي :

الصداقة كقيمة اجتماعية تختلف من مجتمع إلى آخر ، فهى لدى  
المجتمعات العربية غيرها لدى المجتمعات الغربية ، لذلك حرصنا على  
تعريفها عند العرب سواء قديما أم حديثا ، حيث إن انقضاء الزمن لا يعنى  
انقطاع العلاقة بين ما كان وما هو قائم من عادات وتقاليد وأعراف وأخلاق  
وقيم ، وإنما قد تضعف بعض الشئ ولكن إلى حين ، فهى لا تلبث أن  
تعود إلى ما كانت عليه ، وذلك لسبب هام وهو أن الأساس الذى قامت

(١) سورة مريم / ٤١ .

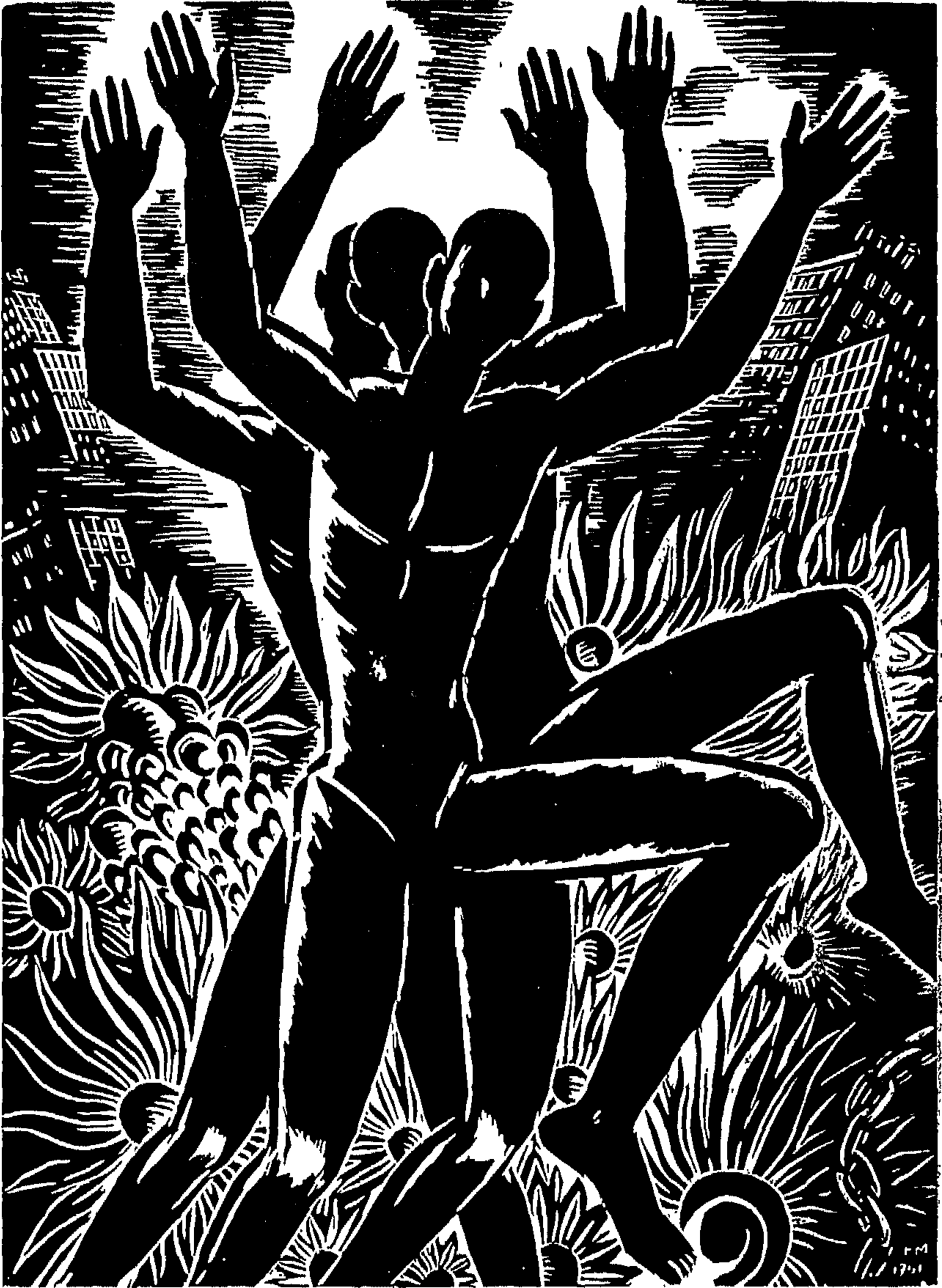
(٢) سورة الحديد / ١٩ .

(٣) سورة المائدة / ٧٥ .

وتقوم عليه وهو الدين لا يتغير . . فالمعروف أن الإسلام ليس عقيدة وحسب بل هو تشريع وأخلاق ، لذلك فإن القيم تقع داخل هذا المثلث ، وهو ما سنلاحظه فيما بعد حيث ترتبط عناصر الصدقة إما بالعقيدة وإما بالأخلاق . أما التشريع ، فإن علاقتها به عامة لا تختلف عن علاقة القيم الأخرى به .

وعلى الرغم من أن العرب لم يضعوا تعريفاً أو مفهوماً اصطلاحياً للصدقة اكتفاء بالمعنى اللغوي الذي وجدوا أنه يكفي للدلالة عليها على النحو الذي سلف ، غير أننا نجد فيما خلفوه من كتابات ما يعتبر مفهوماً اصطلاحياً لها يتجاوز كثيراً ما للمعنى اللغوي للكلمة ، ويتطابق أو يزيد عن المعنى الاصطلاحي للصدقة في الغرب . ليس ذلك وحسب ، بل إنهم - وكعادتهم - اهتموا ببيان الفروق التي بين علاقة الصدقة وغيرها من العلاقات الاجتماعية الودية ، وهو ما لا نجد له مثيلاً لدى الغربيين . ولعل ذلك يرجع عند العرب إلى ثراء لغتهم إلى الحد الذي بلغت فيه الأسماء أو الصفات التي تطلق على الشيء الواحد العشرات وليس الأحاد . خذ - مثلاً - الأسد والمرأة . وسنعرض هذه الفروق ، ولكن بعد أن نتناول المعنى الاصطلاحي للصدقة فيما يلي :

لا يختلف المعنى أو المفهوم الاصطلاحي للصدقة عن المعنى أو المفهوم اللغوي . وفي ذلك يقول أبو حيان التوحيدي : إن الصديق لفظ مشتق من الصديق ، وهو خلاف الكذب ، أو من الصديق ، حيث يقال : رمح صديق ، أي صلب ، وعلى الوجهين يكون الصديق صادقاً (أي غير كاذب) إذا تحدث ، ويكون صادقاً (أي صلباً جاداً) إذا عمل ( الصدقة والصديق ص ٩٤ ) . وعلى ذلك ، فإن الصدقة - باختصار - هي علاقة اجتماعية



● الصداقة علاقة اجتماعية وثيقة تقوم على مشاعر الحب  
والجاذبية المتبادلة بين شخصين أو أكثر،

ضرورية للإنسان قوامها الصدق في كل شيء ، وما عدا ذلك من صفات يدخلها البعض في تعريف الصداقة تعد تزييدا لا ضرورة له ، خاصة وأنه مما يدخل في العناصر والشروط والأهداف وغيرها على ما سنرى .

وفي المعجم العربى الأساسى ( المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم القاهرة ١٩٨٩ ) : صداقة : علاقة مودة ومحبة بين الأصدقاء .

وهذا التعريف رغم أنه مختصر ويخلو من التزيد ، فإنه يذكرنا بالذى عرف الماء بعد الجهد بالماء ، فهو يقول : إنها علاقة مودة ومحبة بين من ؟ بين الأصدقاء ، أى الأشخاص الذين عرفوا بالصدق في علاقتهم ببعضهم بعضا ، فما ذكر عن المودة والمحبة هو التزيد ، لأنها مفترضة في علاقة قوامها الصدق ، ويتصور أن تشمل كل ما يعرفه الناس من مشاعر سامية وأحاسيس نبيلة .

ومن التعريفات الحديثة ، ذلك التعريف الذى استخلصه الباحث أسامة سعد أبو سريع من عدد من التعريفات التى وردت في بعض المصادر والمراجع الغربية ، قال فيه : « الصداقة علاقة اجتماعية وثيقة تقوم على مشاعر الحب والجاذبية المتبادلة بين شخصين أو أكثر ، وتميزها عدة خصائص من بينها : الدوام النسبى والاستقرار ، والتقارب العمرى في معظم الحالات بين الأصدقاء ، مع توافر قدر من التماثل بينهم فيما يتعلق بسمات الشخصية والقدرات العقلية والاهتمامات والتفضيلات والاتجاهات والقيم والظروف الاجتماعية » .

وهو كما نرى تعريف طويل جدا جمع فيه الباحث بين أمور كثيرة ليس من المناسب إدخالها فيه ( المرجع ص ٤٠ ) كلها ، وأكثر منها ورد في التعريفات المختلفة التى وردت في المصادر العربية على لسان الفقهاء



والمفكرين العرب القدامى ، منها على سبيل المثال لا الحصر : صدق المودة والنصح والكرم والتسامح والثقة والطمأنينة وكمال المروءة وحسن الخلق والحلم .

وفيما يلي نبين الفروق التى توجد بين الصداقة وغيرها من العلاقات الاجتماعية ، والتى اهتم العرب بالتمييز فيما بينها ، مما يدل على عقلية علمية متقدمة جدا تؤكد عدم صحة ما يشيعه البعض من أن العرب يفتقرون إلى العقلية العلمية ، وأن كله عند العرب صابون . وهذا إن صح حدوثه ، فبالنسبة للأجيال المتأخرة التى لا تهتم لا بالمفاهيم والمصطلحات ولا باللغة عموما نتيجة لنظام تعليمى شديد التخلف ، لحملة مغرضة ضد اللغة العربية ادعى منظموها كذبا أنها لغة صعبة بخلاف اللغات الأجنبية من إنجليزية وفرنسية وإيطالية وغيرها .

### **التفرقة بين الصداقة وغيرها مما يختلط بها :**

#### **أ- الصديق والخليل :**

والخلة : الصداقة المختصة التى ليس فيها خلل .

وقوله عز وجل : ﴿ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾<sup>(١)</sup> . قال الزجاج يعنى يوم القيامة . والخلة الصداقة ، يقال : خاللت الرجل خلا لا . وقوله تعالى : ﴿ من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال ﴾<sup>(٢)</sup> . والخل : الود والصديق . وقال اللحيانى : إنه لكريم الخل .

والخلة ، كلاهما بالكسر ، أى كريم المصادقة والمودة والإخاء . والخلة بالضم : الصداقة والمحبة التى تخللت القلب فصارت خلاله ، أى فى باطنه .

(١) سورة البقرة / ٢٥٤ .

(٢) سورة إبراهيم / ٣١ .

والخليل : الصديق . قال : وإنما قال ذلك لأن خلته لـ ( إبراهيم عليه السلام ) كانت مقصورة على حب الله تعالى ، فليس فيها لغيره متسع ولا شركة من محاب الدنيا والآخرة ، وهذه حال شريفة لا ينالها أحد بكسب ولا اجتهد ، فإن الطباع غالبية ، وإنما يخص الله بها من يشاء من عبادة مثل سيد المرسلين . وفي الحديث : ( لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ) ، والحديث الآخر : ( المرء بخليله - أو قال - على دين خليله ، فلينظر امرؤ من يخال ) .

وفي الصحيح عن النبي ﷺ من غير وجه أنه قال : ( إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ) . وقال : ( لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر ، ولكن صاحبكم خليل الله ) . . . . . يعني نفسه .

وقال ابن سيده : الخل الصديق المختص ، والجمع أخلال ، والخليل : كالخل . وقولهم في إبراهيم عليه السلام خليل الله ، قال ابن دريد : الذى سمعت فيه أن معنى الخليل الذى أصفى المودة وأصحها ، قال : ولا أزيد فيها شيئاً لأنها في القرآن ، يعنى قوله تعالى : ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ (١) .

قال الزجاج : الخليل المحب الذى ليس في محبته خلل ، مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ . أى أحبه محبة تامة لا خلل فيها ، وقيل للصداقة : خلة ، لأن كل واحد منهما يسد خلل صاحبه في المودة والحاجة إليه . قال كذلك ابن الأعرابي : الخليل الحبيب ، والخليل الصادق ، والخليل الناصح ، والخليل الرفيق ، والخليل الأنف ، والخليل السيف ، والخليل الرمح ، والخليل الفقير . ويقول ابن تيمية ( الفتاوى

(١) سورة النساء / ١٢٥ .

ج ١٠ ص ٢٠٣) : الخلّة هي كمال المحبة المستلزمة من العبد كمال العبودية لله ، ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه . ولفظ العبودية يتضمن كمال الذل ، وكمال الحب ، فإنهم يقولون : قلب متيم إذا كان متعبداً للمحبوب ، والمتيم المتعبد ، وتيم الله عبده ، وهذا على الكمال حصل لإبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم ، ولهذا لم يكن له من أهل الأرض خليل ، إذ الخلّة لا تحتل الشركة ، وذلك بخلاف أهل الحب .

وقد أخبر الله تعالى أنه يحب المتقين ، ويحب المحسنين ، ويحب المقسطين ، ويحب التوابين ، ويحب المتطهرين ، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ، وقال : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ (١) فقد أخبر بمحبته لعباده المؤمنين ، ومحبة المؤمنين له ، حتى قال : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ (٢) . وأما الخلّة فخاصة . وقول بعض الناس : إن محمداً حبيب الله ، وإبراهيم خليل الله ، والظن بأن المحبة فوق الخلّة قول ضعيف ، فإن محمداً أيضاً خليل الله ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة المستفيضة .

إنما سمي الخليل خليلاً ، لأن محبته تتخلل القلب فلا تدع فيه خللاً إلا ملأته ( القرطبي ج ٥ ص ٤٠٠ ) ، وروى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ ، قال : ( اتخذ الله إبراهيم خليلاً لإطعام الطعام وإفشاء السلام وصلاته بالليل والناس نيام ) . وقيل معنى الخليل : الذي يوالى في الله ويعادى في الله .

ويقول الزمخشري في الكشاف ( ج ١ ص ٥٦٦ ) : الخليل الذي يداخلك

(١) سورة المائدة / ٥٤ .

(٢) سورة البقرة / ١٦٥ .

خلال منازلك وحجبتك . وهذا يعنى أن مصاحبته ليس لها حدود ، فهو معه فى أى مكان مما يستحيل تصوّره بالنسبة للإنسان .

### ب- الصديق والصاحب :

أما الصاحب فهو المعاشر ، وصاحبه : عاشره . واصطحب القوم : صحب بعضهم بعضا ، واستصحب الرجل : دعاه إلى الصحبة وكل ما لازم شيئا فقد استصحبه ، واصحبته الشيء : جعلته له صاحبا ، واستصحبته الكتاب وغيره ، واصحب الرجل واصطحبه : حفظه . وفى الحديث : اللهم اصحبنا بصحبة واقلبنا بذمة ، أى احفظنا بحفظك فى سفرنا ، وأرجعنا بأمانتك وعهدك إلى بلدنا . وفى التنزيل : ﴿ ولا هم منا يصحبون ﴾ (١) : يجارون ، أى الكف ، وصحب الشخص : رافقه ولازمه صحبه فى سفره إلى المغرب أو إلى الحج . أى أنها تلازما بعض الوقت ثم افترقا . قد يكونا تحدثا معا فى بعض شئونها أو تبادلوا المساعدة أو غير ذلك ، ولكن علاقتها تظل سطحية ومؤقتة . وعموما فإنها تفتقر إلى معظم أو كل خصائص الصداقة . ومع ذلك فقد جرى غالبية الناس - وبالذات الشباب - على وصف الصديق بالصاحب فيقدمونه قائلين : صاحبى لا صديقى ، وهو خطأ شائع ، غير أنه ينبغى العدول عنه منعاً للخلط ودرءاً للخطأ . وإذا جاز للأمين أن يستخدموا كلمة صاحب عوضا عن كلمة صديق ، لأن فى الأخيرة حرف (القاف) الذى يصعب عليهم نطقه ، والذى ينطقونه (ألفا) فى كثير من الأحيان ، مثل : قلم التى ينطقونها (ألم) ، وقبر التى ينطقونها (أبر) ، وقليل (أليل) . . إلى غير ذلك ، فإن ذلك غير جائز للمتعلمين .

### ج- الصاحب والقرين :

يقول أبو هلال العسكري ( الفروق فى اللغة ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ) : إن ا

(١) سورة الأنبياء / ٤٣ .

لفرق بين الصاحب والقرين ، أن الصّحبة تفيد انتفاع أحد الصّاحبين بالآخر ، ولهذا يستعمل في الآدميين خاصة . . فيقال : صحب زيد عمرا ، ولا يقال : صحب النجم النجم أو الكون الكون . وأصله في العربية الحفظ ، ومنه يقال : صحبك الله ، وسر مصاحبا ، أى محفوظا . وفي القرآن : ﴿ ولا هم منا يصحبون ﴾ <sup>(١)</sup> أى يحفظون . وقال الشاعر :  
وصاحب من دواعى الشر مصطحب .

والمقارنة ، أى اقتران شىء بشىء ، فهى تفيد قيام أحد القرينين مع الآخر ويجرى على طريقته وإن لم ينفعه ، ومن ثم قيل : قران النجم ، وقيل للبعيرين : يشد أحدهما إلى الآخر بحبل يقرنان .

ويبدو لنا أن ما قاله أبو هلال فى الفرق بين صاحب وقرين ، وإن كان صحيحا فى زمنه ، فإنه لم يعد كذلك فى زماننا هذا ، حيث نسمى عقد الزواج بعقد القران . ونقول عن العروسين - بل والزوجين أيضا - قرينين ، ونتكلم عنهما ، فنقول : حضر فلان وقرينته أو حضرت فلانة بصحبة قرينها ، فلم يعد وصف القرين يطلق على الشىء أو الحيوان ، وإنما أصبح يطلق على الإنسان أيضا ، وهو ما نشأ عن تطور اللغة العربية .

### د- الصديق والحميم :

الحميمية علاقة إنسانية أيضا ، يمكن أن نفرق بينها وبين الصداقة والقربة وغيرها ، بل إن البعض يعتبرها صداقة من نوع ممتاز أو متميز ، فيقولون عن صديق معين : إنه أنتيم بالفرنسية Intime التى هى بالإنجليزية Intimacy ومعناها ألفة أو مودة أو حميمة ، وذلك بدلا من أن يقول : صديقى الحميم ، وربما يكون السبب فى ذلك أنه يرغب فى أن يعرف الناس أن تعليمه أجنبى فضلا عن أنه مثقف ثقافة غربية ، وأرجح أن لو أحدا

(١) سورة الأنبياء / ٤٣ .

سأله عما يعنيه بهذه الكلمة أنتيم ، فإنه سيرتبك وتنتابه الحيرة لا يدري ماذا يقول ، وقد يلجأ إلى ما يسميه بعض الشباب الفكاة والحدقة التى هى فى أصلها حدقة من الحذق أو المهارة ، وعلى طريقة الذين دهنوا الهواء دوكو . .  
يعنى أنها صدقة قوية أو ( فذيلة ) يعنى فظيعة ، بينما أن لغتنا العربية العظيمة والشديدة الثراء تحتوى على عبارات كثيرة ومختلفة تطلق على ضروب من العلاقات والمشاعر الإنسانية تفوق فى عددها ما لدى الغرب وغيره من المجتمعات .

والحميم : القرابة ، يقال : محم مقرب . وقال الفراء فى قوله تعالى : ﴿ ولا يسأل حميم حميما ﴾ (١) . . لا يسأل ذو قرابة عن قرابته ، ولكنهم يعرفونهم ساعة ثم لا تعارف بعد تلك الساعة .

وعند الجوهري : حميمك قريبك الذى تهتم لأمره . كذلك عند الليث . . الحميم : القريب الذى توده ويودك ، والحامة خاصة الرجل من أهله وولده وذى قرابته . يقال : هؤلاء حامته أى أقرباؤه . وفى الحديث : (اللهم هؤلاء أهل بيتى وحامتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) .  
حامة الإنسان : خاصته ومن يقرب منه . ومنه الحديث : انصرف كل رجل من وفد ثقيف إلى حامته . ( لسان العرب ) .

نخلص من ذلك إلى أن حميما لا تتعلق بالصدقة ، وإنما تتعلق بالقرابة فلا يصح أن نقول : صديق أنتيم أو حتى حميم ، لأن الحميم تطلق على درجة من القرابة وليس كل القرابة ، ففى قول : إنه القريب الذى توده ويودك بحيث لا تطلق على القريب الذى ليس بينك وبينه مودة ، وفى قول : إنها تطلق على خاصة الرجل من أهله وولده ، أى زوجه وأبناءه وقرابته المقربون ، مثل : أبويه وإخوته وأخواته . أما غيرهم فلا يقال : إنهم أقارب

(١) سورة المعارج / ١٠ .

حميمين ، وهو ما يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم . ولكن نميز بين الأصدقاء ، فنقول : صديق صدوق - مثلاً - أو صديق مخلص ، ولا نقول : صديق أنتيم أو حميم .

### هـ- الصديق والمعرفة :

يقصد بالمعرفة هنا العلاقة التي تقوم بين شخصين أو أكثر ، وترجع إلى القرب الجسماني أو الفيزيقي بالدرجة الأولى ، والمتمثل في التقاء الطرفين أو الأطراف لقاءات عابرة يتبادلون فيها التحية وبعض الأحاديث التي تتسم في الغالب بالعمومية الشديدة ، مثل : السؤال عن الحالة الصحية أو حالة الطقس وغير ذلك . ويطلق وصف المعرفة على كثير من العلاقات التي تفتقر إلى العمق والاستمرارية ، ومنها علاقات الزمالة والجيرة ، والتي تخلو من الصداقة والمشاركة الفعلية ، غير أنه يرجح أن تكون مصدراً للصداقة فيما بعد .

والمعارف هم الذين قال عنهم أبو حامد الغزالي : إنهم من تربطنا بهم علاقة سابقة لا تصل إلى درجة الصداقة . ويقول : إن تعاملنا معهم يجب أن يكون قائماً على الأمور الآتية : التأدب ، والتواضع ، والتحمل ، وعدم الاطمئنان إليهم ، حتى وإن أظهروا المودة ، كذلك يجب أن نلتمس الأعذار لهم ، والتزام الهدوء في مجالسهم ، وحسن الحديث ، وعدم الإلحاح عليهم فيما قد يكون لنا من حاجة لديهم ، واعتدال في الملبس الذي نلقاهم به ، وفي الزينة التي نتخذها ، وعدم الإكثار من الالتفات والإشارة باليد أو التثاؤب<sup>(١)</sup> .

### و- الصداقة والزمالة :

ويقصد بالزمالة المشاركة في نشاط ما من الأنشطة المختلفة دون أن يكون

(١) بداية الهداية ، لأبي حامد الغزالي ص ١٥٦ .

الهدف من العلاقة الاستمتاع بصحبة الآخرين ، وإنما يكون الغرض المنشود هو تيسير أداء كل طرف لعمله أو إنجاز مهام مشتركة ، كما هو الحال في زمالة العمل وزمالة الدراسة وزمالة النادى أو الجمعية ، ورغم أنها قد تتضمن بعض مشاعر الحب ، إلا أن هذه المشاعر لا تكون مقصودة لذاتها ، وإنما المقصود منها هو ما تتيحه الزمالة ذاتها من اكتساب الشباب لمهارات اجتماعية تلعب دورا بالغ الأهمية في تحقيق التوافق في هذه المرحلة العمرية .

وقد تقوى وتتكامل بين مجموعة أفراد وترتفع معدلات الجاذبية الاجتماعية فيما بينهم ، فيؤلفون جهازا يمارس نشاطا له شأنه . ويرجع تقويم هذا النشاط إلى طبيعة العلاقات التى تسوده ، والديناميات التى تحركه ، والتوجيه الجمعى الذى يسيطر عليه .

### ز- الصدقة والعلاقة :

على الرغم من أننا اعتدنا أن نطلق وصف العلاقة على ما يقوم بين الناس من صداقة أو زمالة أو حب ، فنقول : علاقة صداقة أو علاقة حب أو غير ذلك ، إلا أن لكلمة علاقة فى اللغة العربية مدلولاً خاصاً ، فهى تستخدم بمعنى وجود حب بين رجل وامرأة دون ذكر الحب . . ففى لسان العرب العلاقة : الهوى والحب الملازم للقلب ، ويقولون : علقها أى أحبها ، كما يقال : هو معلق القلب بها . والعلق : الهوى يكون بين الرجل والمرأة ، وعلق حبها بقلبه أى هوىها . كذلك يقال : اعتقله أى أحبه ، ويقال : علقت فلانة علاقة أى أحببتها ، كما يقال : علاقة حب .

غير أن هناك من ميز بين الصداقة والعلاقة ، والمقصود ما كان منهما بين الرجال حيث لا صداقة بين الرجل والمرأة ، فقد سأل أبو حيان التوحيدي صديقا له يدعى أبو سليمان عن الفرق بين الصداقة والعلاقة ، فقال :



الصدقة أذهب في مسالك العقل ، وأدخل في باب المروءة ، وأبعد من نوازع الشهوة ، وأنزه عن آثار الطبيعة ، وأشبه بذوى الشيب والكهولة ، وأرمى إلى حدود الرشاد ، وآخذ بأهداب السداد ( الصواب والاستقامة ) ، وأبعد من عوارض الغرارة والحدائث ( أكثر بعدا عن ظواهر الغفلة والجهل الذى يكون مع حدائث السن ) .

فأما العلاقة : فهي من قبل العشق والمحبة والكلف ( الكلف بالشىء : الولع به ) والشغف والتتيم والتهم والهوى والبصابة والتدانف ( المرض الملازم الثقيل ) والتشاجى ( الهم والحزن ) . وهذه كلها أمراض أو كالأضرار ، بشركة النفس الضعيفة والطبيعة القوية ، وليس للعقل فيها ظل ولا شخص ، ولهذا تسرع هذه الأعراض إلى الشباب من الذكران والإناث ، وتنال منهم ، وتملكهم ، وتحول بينهم وبين أنوار العقل ، وأداء النفوس ، وفضائل الأخلاق ، وفوائد التجارب . ولهذا وأشباهه يحتاجون إلى الزواجر والمواعظ ، ليفيئوا ( ليرجعوا ) إلى ما فقدوه من اعتدال المزاج والطريق الوسط .

وهذه التفرقة بين الصدقة والعلاقة تعنى أننا نخطئ عندما نجمع بينهما فى وصفنا لما بين شخصين قائلين : إنه علاقة صداقة ، فكأننا نجمع بين أمرين مختلفين على النحو الذى بينه أبو سليمان ، غير أن ذلك يعد من الأخطاء التى بلغت من الشيوع الحد الذى لم يعد أحد يفتن إليها . . فكلنا نقول : علاقة حب وعلاقة صداقة وعلاقة زمالة وعلاقة جيرة ، فى حين أن الصواب القول : بينهما صداقة ، أو بينهما زمالة ، أو إن شئنا فلنقل بينهما صلة صداقة ، كما نقول : صلة القرابة وصلة الرحم ، ففى القرآن الكريم : ﴿ فإهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ (١) .

والتقطيع عكس الوصل ، والتقطيع كناية عن ترك المودة والتواصل وفساد العلاقات . (الرحم : القرابة وجمعها أرحام) .

أما كلمة حب ، فإنها - كما لاحظنا - تختلف في معناها إذا ذكرت وحدها عنه إذا ذكرت مسبقة بكلمة علاقة ، ففي الأولى يكون معناها الحب العادى الذى يشعر به غالبية الناس . أما فى الثانية فيكون معناها الحب غير العادى أو بمعنى أصح المحبة المفرطة التى تزيد عن الحد ، والذى يكاد أن يكون حالة مرضية ، على الوجه الذى بينه أبو سليمان ، والذى تصبح فيه العلاقة مرادفاً للعشق الذى سنتناوله فى نهاية الفصل التالى ، والذى نفرق فيه بين الصداقة والحب .

\* \* \*

## الفصل الثانى

---

### الصداقة والحب

---



على الرغم من وجوه الشبه الكثيرة بين الصداقة والحب ، فإن التمييز بينهما لا يكون صعبا حتى على أبسط الناس . صحيح أنه كثيرا ما تستخدم كلمة الحب كمرادف لكلمة الصداقة ، وبالذات بين الذكور وبعضهم البعض وبين الإناث وبعضهن ، فيقول الصديق لصديقه تعبيرا عن حميمية الصداقة وقوتها : أنا أحبك أو أنت حبيبي ، وكذلك الفتاة تقول لصديقتها نفس الكلمات ، ولكن في الحالتين يكون هناك وعى بأن المقصود ليس الحب بمعناه الضيق وهو الذى يكون بين الذكر والأنثى ، والذى تغنى به الشعراء منذ القدم ووصفه الأدباء والروائيون ولم تخل منه أحداث التاريخ فى كل العصور ، إلى أن أصبح فى عصرنا هذا محورا للغالبية العظمى من الأفلام السينمائية والتلفزيونية والأغاني التى تعتبر الطعام اليومى لمعظم الشباب ذكورا وإناثا . ولقد عرفنا الصداقة وبقي أن نعرف الحب .

## ما هو الحب .. ؟

الحب توحد عاطفى قوى مع شخص آخر يشكل أساسا علاقة اجتماعية مفضلة ، وينطوى هذا التوحد على انيثاق شخصية توجه كل طاقاتها لإسعاد المحبوب ورفاهيته . ويعتبر الحب عملية سيكولوجية اجتماعية دينامية لها أبعادها العديدة .

فمن الناحية النفسية السيكولوجية يختلف الحب عن الصداقة فى الآتى :  
أن المحب يكون مفتونا بالمحبوب ، بمعنى اهتمامه الدائم به وانشغاله بالتفكير فيه ، حتى وهو فى ذروة انشغاله بأمور أخرى مهما كانت أهميتها ، ورغبته الدائمة فى النظر إليه والتأمل فيه وملازمته أينما ذهب والحديث معه .  
أنه فى الحب يميل كلا الطرفين إلى الاستئثار بالآخر فى إطار من الالتزام



● الحب يختلف عن الصداقة في شيء هام جداً ، هو الرغبة في التفاعل الحميم الودود.

والإخلاص المتبادلين ، إلى الدرجة التى يصبح فيها قيام أى علاقة أخرى كالصداقة - مثلاً - مرفوضاً أو على الأقل غير موضع ترحيب . والمقصود بالصداقة هنا ما كان بين كل طرف وشخص من نفس نوعه ، أى بين ذكر وذكر ، وبين أنثى وأنثى .

وأخيراً ، فإن الحب يختلف عن الصداقة فى شىء هام جداً ، هو الرغبة فى الاقتراب الجسمانى واحتواء الآخر بدنياً أو ما يسمى بالتوحد والامتزاج اللذين وسيلتهما الجنس ، وهو ما لا يكون إلا بين ذكر وأنثى ، لا بين ذكر وذكر أو أنثى وأنثى .

أما إذا نظرنا إلى الحب على أنه علاقة اجتماعية ، فإنه يتخذ صوراً كثيرة تشمل : علاقة الزوج بزوجته ، والأم بطفلها ، وعلاقة الأقارب .. وهكذا .

وهناك ما يسمى بالحب الزومانتىكى ( خيالى أو عاطفى ) ، وهو الذى يكون بين ذكر وأنثى ، ويقوم على التفضيل الشخصى المتبادل ، وعلى التوحد والاندماج السيكولوجى أو النفسى والاجتماعى العميق . وجدير بالذكر أن عمق الارتباط العاطفى يعتبر إلى حد ما وظيفة لنسق الأسرة الصغيرة ، والتنقل الاجتماعى ، والتغير الاجتماعى ، والعزلة الاجتماعية والسيكولوجية لغير المتزوجين ، وافتقار عالم أخلاقى واجتماعى مستقر . (قاموس علم الاجتماع ، محمد عاطف غيث) .

### الصداقة بين الفتيان والفتيات :

تعتبر الصداقة بين الفتيان والفتيات من الموضوعات التى أثارها وتشيرها بعض النساء اللاتى تصفن أنفسهن بالتقدمية والاستنارة فى العالم العربى ،

حيث يعتبرن قيام هذه الصدقة من شروط المساواة التامة بين الذكور والإناث ، وأن منعها بين النوعين يعد انتقاصا من الحقوق التي للمرأة ، ومن صور التمييز بينها بين الرجل ، وهو ما حرّمته المواثيق والإعلانات الصادرة عن الأمم المتحدة .

ولما كنت ممن لا يثقون كل الثقة فيما تصدره هذه الهيئة من قرارات ومواثيق وإعلانات . . أولا : لأنها - ببساطة شديدة - لا تصدر عن إرادة دولية تمثل غالبية المجتمع الدولي ، إنما تصدر عن إرادة عدد قليل من الدول هي الدول الأوروبية الغربية وأحيانا دولة واحدة هي الولايات المتحدة . ثانيا : لأن أخلاق الغرب وثقافته ليستا هما الأفضل ولا الأكثر انتشارا إنما هناك أخلاق وثقافات أفضل وأكثر انتشارا . أما من حيث الفضل ، فالأمر لا يحتاج إلى اجتهاد كبير فيكفى أن نرى ما تبيحه الأخلاق الغربية من الرذائل والموبقات كالزنا واللواط والاتجار في الأعضاء وفي البشر واتخاذها من المرأة سلعة رخيصة واستغلال للشعوب واستنزاف لمواردها ، وغير ذلك كثير مما يعرفه القاصي والداني .

وبالنسبة للصدقة بين الشباب والفتاة التي تتحمس لها تلك الفئة من النساء لا لشيء إلا بدافع الانحياز الأعمى للغرب ولثقافته دون إعمال فكر أو قلب نظري ، وإنما هو التقليد الأعمى الذي لا يصدر إلا عن الكسالى المجردين من الموهبة المحرومين من القدرة على الإبداع والخلق ، فإنه لا يتصور قيامها بدون جنس ، وذلك أمر بديهي . . فالشباب في مرحلة المراهقة - وهي التي تظهر لديه فيها حاجة جديدة وخطيرة هي الحاجة إلى الجنس ، والتي تحتاج لإشباعها إلى طرف آخر هو الفتاة أو الأنثى عموما - هذا المراهق يتأثر بشدة بكل ما يصدر عن الفتاة من سلوك أو يتعلق بها من



أمور . وقد أشارت نتائج البحوث التي أجريت في هذا المضمار خاصة ما أجرى في الولايات المتحدة الأمريكية أن الصداقة بين الشباب والشباب وما ينتج عنها من مشكلات ومعاناة تتمثل في الحمل غير الشرعى والإجهاض والأبناء غير الشرعيين ، فضلا عن المشكلات الاجتماعية والنفسية التي يعانيها الشباب ، لا نقول إننا فقط بل وذكورا أيضا ، فهل تريد هذه الفئة من النساء أن تنتقل إلينا هذه المشكلات لمجرد أن نصبح مثل الغرب نسمح بالصداقة بين الجنسين حتى لا تكون حقوق البنات أقل من حقوق الذكور !

ثم من قال إن البنات محرومات من الحق في اتخاذ الأصدقاء بخلاف البنين ؟! إن البنات هن أن يتخذن الصديقات كما أن للبنين أن يتخذوا الأصدقاء ، أى أن البنت تصادق البنت والولد يصادق الولد . أما صداقة بين الجنسين فممنوعة على الذكور والإناث معا ، وبالتالي لا يصح أن يقال إنه لا مساواة بين الفتاة والفتى في هذا الصدد .

ليس ذلك وحسب ، بل إن المنطق يجعل من المستحيل تصور خلاف ذلك ، أى الاعتراف للذكور بالحق في اتخاذ الصديقات وعدم الاعتراف به للإناث ، لأن مقتضى أن تكون هناك صديقة للشباب أن يكون هو صديقا لها ، وبالتالي فإنه لا يمكن تصور أى وضع خلاف ذلك . وعليه ، فإن الاعتراف للشباب بالحق في أن تكون له صديقة لا يمكن أن يتحقق إذا منعنا الفتيات من اتخاذ الأصدقاء ، وإلا فمن أين سيأتى الفتيان بفتيات يتخذوا منهن صديقات ؟!

وماذا غير الحمل غير الشرعى والإجهاض والأبناء غير الشرعيين يمكن أن تؤدى إليه الصداقة بين الفتيان والفتيات ؟!

هناك جرائم القتل والضرب والاغتصاب وغيرها التى ستقع بسبب

الصداقة بين النوعين ، ذلك لأنه وإن تصورنا إمكانية قيام صداقة بين النوعين ، فإنها لن تكون أبداً مثل الصداقة التي بين ذكر وذكر ، ولننظر إلى الشروط التي وضعها المفكرون والعلماء والأخلاقيون للصداقة لكي نرى وببساطة أنه يتعذر ، إن لم يكن يستحيل ، على البنت أن تقوم بعبء الصداقة تحت هذه الشروط بالنظر إلى ظروفها وأوضاعها ودورها في الحياة . فماذا لو أن صديقها واجه مشكلة مالية أو أمنية أو أسرية أو غير ذلك ، هل يمكنها أن تتدخل في صالحه ؟ بالطبع لا . . . ولنفترض ، مثلاً ، أن أهله أو أسرته طردته لسبب ما ، فهل يمكنه أن يلجأ إليها كما يلجأ إلى صديقه الذكر فيحصل منه على مساعدة مالية أو قرض أو أن يستضيفه في بيته أياماً إلى أن يجد لمشكلته حلاً ؟ . . . بالطبع لا !

والدليل على أنه من المتعذر أن تقوم الصداقة بين الفتى والفتاة في شكلها السوى ، أننا لا يمكن أن نتصور الفتاة في مقدورها أن تبوح بإحساسها الجنسي للفتى بالسهولة التي يمكن أن تبوح بها للفتاة .

نأتى بعد هذا إلى عدد الأصدقاء الذين يكون للفتاة أن تتخذهم . ستختلف الآراء في هذا الصدد ، فالنساء التقديميات المستنيرات سيثرن ويقلن بعلو صوتهن لماذا تردن أن تفرضوا على البنات أن يقتصرن على عدد محدد من الأصدقاء كواحد أو اثنين أو ثلاثة ، ولماذا لا تفعلون نفس الشيء مع الذكر ؟! وقد نسمع أصواتاً تنادى بعدم السماح للبنت بأن تتخذ غير صديق واحد . ولننظر إلى الافتراضين ، الأول : وهو أن تتخذ الفتاة أى عدد تشاء من الأصدقاء ، فإنه سيؤدي إلى مشكلات كثيرة غالباً ما سيترتب عليها جرائم تتفاوت في الخطورة ، ذلك أن الشباب من الذكور لا يؤمنون في الحقيقة بالصداقة وإنما هم كما قالت هيلارى كليتون : صيادون للإناث ،

فحتى إذا تظاهروا بالصداقة للبنات فإنهم إنما يفعلون ذلك بقصد استغلال هذه الصداقة ، في استدراجهن إلى ما يسمونه حبا ومنه إلى الجنس ، ومع تعدد الأصدقاء واختلافهم في الظروف والأوضاع والأوصاف ، فإن الصراع سينشب بينهم حول الصديقة التي يطمع كل منهم في أن يحظى بها . وهنا يغلب أن تقع الجرائم مثل الضرب والجرح والقتل والسرقة والإتلاف غيرها .

كذلك لا نستبعد الدور الذي ستقوم به الفتاة ( الصديقة ) من إثارة المنافسة بين الأصدقاء لكي تحصل منهم على أكبر قدر من الاهتمام أو من المنافع مادية كانت أو معنوية ، فهي على سبيل المثال ترغب أول ما ترغب في أن تكون زوجة . لذلك فإنها يمكن أن تشعل الغيرة في قلوب أصدقائها لكي تدفع أحدهم إلى الزواج منها ، إلى غير ذلك من النتائج بالغة السوء التي يمكن أن تترتب على الاعتراف بما يسمى الحق في الصداقة للبنات .

وأوجه لهؤلاء النساء التقديميات المستنيرات النصيح للعمل على تشجيع بناتنا على أن يكن صديقات لبعضهن البعض ، بل إنى أسألهن واستحلفهن أن يقلن لي : هل هن صديقات لبعضهن البعض حقا أم أنهن في الحقيقة كما يقلن صديقات لدودات يتربصن ببعضهن الدوائر للانقضاض على بعضهن بعضا . يا سيداتي حاولن أولا أن تجعلن الأنثى صديقة للأنثى ، ثم بعد ذلك تصبح صديقة للذكر .

ثم لماذا تعجز المرأة عن أن تكون صديقة لزوجها وتصبح بعد الزواج أبعد ما تكون عن الصداقة ؟! لو أن المرأة نجحت في أن تكون صديقة لزوجها لانخفضت معدلات الطلاق إلى أدنى حد ولعاشت الأسرة في هدوء وطمأنينة وسعادة .

ولعل فيما نسب إلى السيدة « هلارى كليتون » زوجة الرئيس الأمريكى السابق من أنها لما سألتها إحدى الصحفيات عن رأيها فى الرجل ( تعنى الرجال عموما ) أجابت قائلة وباختصار شديد لكنه غير مغل : الرجل صياد ، فلما سألتها : والمرأة ، قالت : فريسته . هذا الكلام من امرأة مثل هلارى كليتون - هى فضلا عن كونها زوجة لرئيس الدولة تعد من المحاميات الشهيرات فى الولايات المتحدة ، كما أنها سيدة مجتمع من الطراز الأول - ما يؤكد أنه لا صداقة بين الرجل المرأة تماما ، كما أنه لا صداقة بين الصياد والفريسة . هذا مع ملاحظة أن هذا الحكم ليس مطلقا ، إنما تأتى عليه استثناءات كثيرة تؤكد أنه ليس فى كل الأحوال تكون المرأة فريسة للرجل ، بل كثيرا ما يكون هو الفريسة وهى الصياد ، وإن اختلفت وسائلهما وأساليبهما فى الصيد مع ملاحظة أن المرأة تفضل أن تبدو كما لو كانت هى الفريسة والرجل هو الصياد ، فإنما ذلك لأن النساء يفضلن أن يكن المطلوبات والمرغوب فيهن ، ويعتبرن خلاف ذلك ماسا بكرامتهن منتقصا من عزة أنفسهن حيث يتخذن من كون الرجل صيادا مبررا لفشلهن فى الحصول عليه باعتبار أنه الصياد ، فلا يقال إنه رفضها وإنما تقول أنها استعصت عليه كفريسة صعبة المراس . أما الرجل فإنه يا للعجب ، يرضيه هذا الزيف لأنه مغرور يحب أن يبدو أمام الناس كصائد وليس كفريسة . وسواء كانت الحقيقة هى هذه أو تلك ، فإن المتيقن فى الحالتين أن لا صداقة بين الرجل والمرأة ، وإنما الصداقة تكون بين الرجل والرجل وبين المرأة والمرأة ، وهى ميزة تنفرد بها الصداقة من دون مختلف صور العلاقات الاجتماعية كالقربة والجيرة والزمالة والصحة وغيرها ، فلا تقول المرأة عن الرجل صديقى ولا يقول الرجل عنها صديقتى . ولكن تقول قرييى أو زميلى أو جارى ، ويقول قرييتى أو زميلتى أو جارتى .

ولا يكتمل الحديث عن الحب إلا إذا تكلمنا عن « العشق » ، حيث إن كثيرين يعتقدون أن العشق مرادف للحب وأن الحبيب مرادف للعاشق ، والمحبوب مرادف للمعشوق وهذا غير صحيح ، فما هو العشق ؟

### تعريف العشق :

العشق هو المحبة المفرطة الزائدة عن الحد الذى ينبغى ، وهو بهذا يعد من الأمراض النفسية ( ابن تيمية ، الفتاوى ج ١٠ ص ١٢٩ - ١٣٠ ) ، لأنه شبيه بالمرض المعروف بـ ( المالىخوليا ) ، كذلك فإن العشق يصيب البدن بالمرض مثل الضعف والنحول والهزال .

يقول ابن تيمية : إنه من أمراض القلب الذى هو أصل محبة النفس لما يضرها كالبدن الذى يشتهى الطعام على الرغم من أنه يضره ، وإذا لم يطعم ذلك تألم ، وإن أطعم ذلك قوى به المرض وزاد . كذلك العاشق يضره اتصاله بالمعشوق مشاهدة وملازمة وسماعا ، بل يضره التفكير فيه والتخيل له وهو يشتهى ذلك ، فإن منع من مشتهاه تألم وتعذب ، وإن أعطى مشتهاه قوى مرضه ، وكان سببا لزيادة الألم .

ويذهب أغلب الفقهاء المسلمين إلى أن العشق مذموم مطلقا لا يمدح لا فى محبة الخالق ولا المخلوق ، لأنه المحبة المفرطة الزائدة عن الحد المحمود . وأيضا ، فإن لفظ « العشق » إنما يستعمل فى العرف فى محبة الإنسان لامرأة أو صبي لا ولا يستعمل فى محبة كمحبة الأهل والمال والوطن والجاه ومحبة الأنبياء الصالحين ، وهو مقرون كثيرا بالفعل المحرم ؛ إما بمحبة امرأة أجنبية أو صبي ، يقترب به النظر الحرام واللمس المحرم ، وغير ذلك من الأفعال المحرمة ( المرجع السابق ص ١٣١ ) . كذلك ، فإن العشق يفسد دين العاشق وعرضه ثم قد يفسد عقله ثم جسمه . ومن فى قلبه مرض الشهوة

وإرادة الصورة ، أى العاشق متى خضع المطلوب أى المعشوق طمع المريض ، وهو الطمع الذى يقوى الإرادة والطلب ، ويقوى المرض ، وذلك بخلاف ما إذا كان آيسا من المطلوب ، فإن اليأس يزيل الطمع ويضعف الإرادة فيضعف الحب . والإنسان لا يريد أن يطلب ما هو آيس منه ، فلا يكون مع الإرادة عمل أصلا ، بل يكون حديث نفس إلا أن يقترن بذلك كلام أو نظر ونحو ذلك فيأثم بذلك .

لكن المعلوم بأدلة الشرع أنه إذا عف عن المحرمات نظرا وقولا وعملا وكنتم ذلك ، فلم يتكلم به حتى لا يكون فى ذلك كلام محرم . . وهو على طاعة الله ، ويتجنب معصيته ، ويصبر على ما فى قلبه من ألم العشق ، كما يصبر المصاب على ألم مصيبته ، فإن هذا يكون ممن اتقى الله وصبر، والله تعالى يقول : ﴿ إنه من يتق الله ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) سورة يوسف / ٩٠ .

## الفصل الثالث

### خصائص الصداقة





بعد أن عرفنا الصداقة وبيننا ما يقوم بينها وبين أشكال العلاقات الاجتماعية الأخرى من فروق ، نتناول في هذا الفصل ما تتميز به الصداقة من خصائص لا بد من أن يلم بها الناس ، سواء منهم من كان على علاقة صداقة قائمة بالفعل ، أو من يرغب في الدخول في صداقة جديدة .  
فللصداقة ، باعتبارها علاقة اجتماعية عميقة ووثيقة ، خصائص عديدة تتميز بها نتناولها فيما يلي :

**أولاً -** إن الصداقة تجعل من يرتبطون بها يعتمدون على بعضهم بعضاً في تبادلية تلقائية وليست محسوبة ، وإلا فقدت العلاقة وصف الصداقة وتحولت إلى نوع من المقايضة ذات طبيعة مادية فجّة . ويتمثل الاعتماد المتبادل فيما يقوم به كل طرف من أطراف الصداقة من تأثير في مشاعر ومعتقدات وسلوك الطرف أو الأطراف الأخرى .

ولعل ما قاله أعرابي لرجل سألته النصيحة فيمن يتخذه صديقاً يوضح هذه الخاصية من خواص الصداقة ، فقد قال : اتخذ من ينظر بعينك ، ويسمع بأذنك ، ويبطش بيدك ، ويمشى بقدمك ، ويضع رحاله حيث تهوى وتحب ، لا يرى سواك . اتخذ من إن نطق فكأنه فيما يقول يستوحى عقلك وفكرك يطلب إليهما أن يمليا عليه لينطق بما يمليان ، وإن نام فبخيلك يحلم ، وإن انتبه فبك يلوذ ، وإن احتجت إليه كفاك ، وإن غبت عنه دعاك ، يستر فقره عنك لئلا تهتم له ، ويبدى بشره لئلا تنقبض عنه .

**ثانياً -** إن الصداقة ، على خلاف غيرها من العلاقات كالزمانة والمعرفة والصحبة ، تسمح للأصدقاء بأن يناقشوا كل أمور حياتهم تقرّبنا ، بما



● كذلك ، فإن الصداقة تتيح للأصدقاء أن يشتركوا معا في أنواع متنوعة من النشاطات والاهتمامات

تشتمل عليه من أنشطة واهتمامات بصراحة وصدق وشفافية . وتعتبر هذه الخاصية من أهم خواص الصداقة ، التي تميزها عن غيرها من العلاقات الاجتماعية ، حيث تقتضى أن تشمل الأحاديث التي تدور بين الصديقين الموضوعات شديدة الخصوصية . وأن يعرف الصديق المعلومات الدقيقة والخاصة المتعلقة بصديقه ، مثل : همومه وتطلعاته وطموحاته ، بالإضافة إلى سماته الشخصية . وإن كان هناك رأى يذهب إلى أن هذا النمط من العلاقات الوثيقة لا يظهر إلا في مرحلة عمرية معينة هي مرحلة المراهقة المبكرة ، لأنه يتطلب توافر حد أدنى من القدرة على فهم مشاعر وأفكار الطرف الآخر . كما أن هناك رأى يذهب إلى عدم اطلاع الصديق على الأمور الخاصة جدا .

كذلك ، فإن الصداقة تتيح للأصدقاء أن يشتركوا معا في أنواع متنوعة من النشاطات والاهتمامات ، كل ذلك استجابة لدواعي الصداقة وتأكيدها . قال أبو عامر النجدي : الصديق من تحدث معك بالصدق عن نفسه ليكون على نور من أمرك ، ويصدقك أيضا عنك لتكون على مثله ، لأنكما تقتسمان أحوالكما بالأخذ والعطاء في السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، فليس لكما فرحة ولا ترحة ( الغم والحزن ) إلا أنتما تحتاجان فيهما إلى الصدق والمساعدة على اجتلاب الحظ في طلب المعاش . أما العلاقات السطحية كالزمالة والمعرفة ، فإنها تقتصر غالبا على موضوع واحد أو موضوعات عابرة وقليلة الأهمية .

وهنا وبالمقابل تظهر خاصية أخرى للصداقة ، وهي التي يطلق عليها النفسيون التنبيه stimulation . وهي عبارة عن عملية تنشيط وتوسيع للأفكار والمعارف والرؤى الشخصية التي لدى الأصدقاء ، وذلك من خلال المناقشة والحوار .

**ثالثا -** إنه في الصداقة يكون كل طرف قادرا على استثارة انفعالات قوية لدى الطرف الآخر ، وهو أمر يرتبط بخاصية الاعتماد المتبادل بين الأصدقاء ، ويعد مصدرا لكثير من المشاعر الإيجابية السارة غالبا وغير السارة أحيانا<sup>(١)</sup>. وفي ذلك قال أبو سفيان : الصديق لا يراد ليؤخذ منه شيء ، أو ليعطى شيء ، لكن ليسكن إليه ، ويعتمد عليه ، ويستأنس به ، ويستفاد منه ، ويستشار في الأزمات ، ويتزين به إذا حضر ، ويتشوق إليه إذا سافر ، والأخذ والعطاء في عرض ذلك جاريان على مذهب الجود والكرم بلا حسد ، ولا نكد ولا غرض ، ولا منع ، ولا تبادل للوم ، ولا عبوس مفرط ، ولا زهو بالنصر أو فخر بالرزق ، ولا غمز أو لمز بأمور منكرة ، ولا كيد أو قهر . فهو هنا يستبعد كل المشاعر السلبية التي يعتبرها مناقضة للصداقة .

**رابعا -** من خصائص الصداقة أيضا المساندة ، ونعني بها وقوف الأصدقاء إلى جانب بعضهم البعض فيما يواجهونه من ظروف تحتاج إلى تضافر الجهود . ويلي المساندة التشجيع ، ذلك أن بعض الأصدقاء قد لا يستطيعون أن يساندوا صديقهم لسبب أو لآخر ، وبالتالي فإنهم يقدمون له التشجيع شدا لأزره ودعما لموقفه ، وهو ما يؤدي ، لا إلى زيادة الثقة بالنفس - ونعني هنا نفس الصديق ونفس أصدقائه ، سواء منهم الذين ساندوه أو الذين شجعوه - فحسب ، بل وقيامه هو وأصدقائه بإجراء تقويم إيجابي لذواتهم بعد الذي حدث ليعرفوا مواضع النقد في تصرفاتهم .

**خامسا -** كذلك ، فإن الصداقة تتيح للصديق أن يتحقق من صحة ما لديه من أفكار وآراء شخصية عندما تسنح الفرص التي تمكنه من الإفصاح

(١) أسامة سعد أبو سريع ، الصداقة من منظور علم النفس ، ص ٣٨ .

عنها ، فالمعروف وبالذات بالنسبة للشباب أن أفكارهم وآراءهم تكون نظرية في الغالب لا يمكن الحكم عليها إلا بعد وضعها على محك التجربة والتطبيق ، فإما ثبت لهم صوابها ، وإما ظهر لهم العكس . وعندئذ يقومون بتغييرها أو تعديلها من أجل أن تصبح قابلة للتطبيق .

**سادسا -** ومن خواص الصداقة أيضا طول عمرها كما يقولون واستقرارها النسبي ، فهناك صداقات تستمر ما استمر أطرافها على قيد الحياة تتمتع بقدر كبير من الاستقرار . وهناك صداقات أخرى تستمر أقل من ذلك بكثير أو بقليل لأسباب مختلفة كما أنها تفتقر إلى الاستقرار ، وهو الغالب هذه الأيام نظرا للتحويلات الاقتصادية السريعة وما صاحبها من تغيرات اجتماعية شديدة جعلت الغلبة للقيم المادية ، الأمر الذي أدى إلى انحسار واضح في القيم التقليدية التي عشنا عليها طويلا ، ومن بينها الصداقة التي أصبحت علاقة نفعية محضة يحاول أطرافها استغلال بعضهم البعض إلى أبعد مدى . وهو ما لوحظ بدرجة أكبر في الصداقة بين الذكور مقارنة بالصداقة بين الإناث ، وفسره جيوردانو بأن صداقات الذكور أقل عمقا ، وبالتالي فهي أقل تعرضا للخلاف والصراع ، وهو ما يؤدي إلى قدر أكبر من الاستقرار .

**سابعا -** كذلك ، فإن الصداقة تتيح للمرتبطين بها أن يحققوا لأنفسهم نفعا مباشرا منها ، وذلك بما يقومون به نحو بعضهم بعضا من تسخير للوقت والجهد وكافة إمكانياتهم الشخصية سواء كانت مادية أو غير مادية لخدمة بعضهم وتلبية مطالبهم . وهو ما عبر عنه بوضوح شديد محمد بن علي بن الحسين الباقر لما قال لأصحابه : أيدخل أحدكم يده في جيب صاحبه فيأخذ منه حاجته من الدراهم والدنانير ؟ قالوا : لا ، قال : فلستم إذا بأصدقاء .

كما أن الأصدقاء لا يضمنون على بعضهم بعضا بوقت ، فهم يلتقون كلما وجدوا لديهم وقت فراغ لا يشغله عمل أو شئون الأسرة ، لما يجدونه في ذلك من إحساس بالمتعة وشعور بالرضا لا يجدونه في أى علاقة أخرى ، سواء كانت قرابة أو حب أو زمالة ، اللهم إلا إذا اقترنت إحداها بالصدقة . وعندئذ تكون هي مصدر السعادة والرضا وليس سواها . وما ذلك إلا لأن الصدقة تقدم للصديق زادا فكريا عقليا لا ينضب فضلا عن الزاد العاطفي ، الأمر الذي يجعلها علاقة متكاملة ، وهو ما لا يتوفر في غيرها من صور العلاقات الاجتماعية . ولقد قيل لأعرابي : أبالصديق أنت أنس أم بالعشيقة ؟

فقال : يا هذا ، الصديق لكل شيء : للجد والهزل ، للقليل والكثير ، ولا عاذل عليه ، لا قادح فيه ، وهو روضة العقل وغدير الروح . فأما العشيقة ، فإنما هي للعين وبعض الريبة ، والعدول عنها من أجله سريع ، وفي الولوع بها إفراط من جوى ، وحد موقوف دونه ، فأين هذا من ذاك . وهكذا ، عبر الأعرابي الذكي المجرب بدقة ووضوح تامين عما يشعر به الإنسان نحو كل من الصديق والحبيبة أو العشيقة ، وكيف أن كفة الأول هي الزاجحة دائما . وحتى إذا رجحت كفة الحبيبة أو العشيقة في أول الأمر ، فإنها لا تلبث أن تفقد رجحانها لمصلحة الصديق ، أو كما قال الأعرابي : والعدول عنها من أجله سريع .

ومن استعراضنا لخصائص الصدقة ، يمكننا أن نرد على ما يثار من تساؤلات بشأن الصدقة ، وما إذا كان يمكن أن تقوم بين أشخاص يقيمون بعيدا عن بعضهم البعض ، سواء عن طريق الخطابات البريدية أو بالفاكس أو بواسطة أجهزة التسجيل الصوتي أو بالصوت والصورة أو بواسطة الكمبيوتر والإنترنت ؟

## الصداقة على البعد: (بالبريد - بالفاكس - بالهاتف - بالإنترنت وغيره)

كثيرا ما نسمع أو نقرأ عن الصداقة عن بعد تحت مسميات مختلفة ، مثل : الصداقة بالمراسلة ، سواء عن طريق البريد ( عادى وإلكترونى ) ، وهو الذى تروج له كثير من الإذاعات والصحف والمجلات ، أو عن طريق شرائط التسجيل ، ما كان منها بالصوت فقط أم بالصوت والصورة معا (فيديو) أو عن طريق الإنترنت . فهل إطلاق وصف الصداقة على العلاقات التى تقوم بواسطة هذه الأساليب صحيح أم غير صحيح ؟

على الرغم من أن الذين يرغبون فى الحصول على إجابة لهذا السؤال ، لو أنهم راجعوا ما قلناه عن خصائص الصداقة سيجدون فيها الإجابة واضحة جلية ، إلا أننا رأينا ، زيادة فى الإيضاح ، ذكر الشروط التى يجب توافرها من أجل أن تقوم الصداقة بالمعنى الصحيح . وهذه الشروط هى :

أولا - الاشتراك فى البيئة .

ثانيا - الاشتراك فى الأهداف .

ثالثا - الاشتراك فى المصلحة .

رابعا - القرب المكانى .

خامسا - ما يعرف بالإدراك أو الوعى .

أولا - الاشتراك فى البيئة :

ونعنى بالبيئة هنا المفهوم الأوسع الذى يمتد من كوكب الأرض الذى نعيش عليه إلى أقل جزء من الأرض يمكن تصويره ، مثل : الحارة أو الزقاق ، بل قد لا يكون الشئ أرضا ، وإنما سفينة أو مركبا صغيرا أو حتى طائرة تقوم بين ركابها أهدافا مشتركة . فكوكب الأرض هو البيئة التى تشترك

فيها الإنسانية كلها فتدرك وتفكر وتتخيل وتخاف ، وتشتهى وترتعش ، تأمل في نفس الموضوعات أو فئات الموضوعات ، مثل : الشمس والقمر والنجوم ، والعناصر ، والطعام والشراب ، والميلاد والموت ، والحيوانات والناس من نفس الجنس أو من الجنس الآخر .

### ثانياً- الأهداف المشتركة :

وهذه الأهداف يستوى أن تكون أهدافاً معرفية أم أهدافاً مصلحية . وأقرب مثال للأهداف المشتركة للبشرية ما أصبح يعرف بـ « ثقب الأوزون » الذي تنصرف الجهود ، على مستوى العالم ، إلى القضاء عليه منعاً لما سيؤدي إليه من أضرار شديدة تصيب الإنسان وغيره من الكائنات التي تعيش على الأرض ، وكذلك مشكلة تلوث البيئة . . وغيرها .

ويزيد التشابه في الموضوعات التي ينظر إليها الناس كأهداف مشتركة بحسب القرب ، سواء في المكان أو في الزمان . . فبعد الأرض تأتي القارات فالدول فالمدن فالقرى ، ثم تأتي الجماعات على اختلافها ، مثل : المدرسة والجامعة والنادي فالجيرة . وفي هذه جميعاً يوجد « اشتراك في الأهداف » بين الجماعات التي تتكون منها هذه البيئات ، فعلى مستوى القارات توجد أهدافاً مشتركة لسكان قارة أوروبا تتمثل فيما يسمى الاتحاد الأوربي أو منظمة الوحدة الأوروبية ، وفي إفريقيا توجد منظمة الوحدة الإفريقية ، وفي المنطقة العربية توجد جامعة الدول العربية ، وكذلك في أمريكا الجنوبية وآسيا توجد المنظمات التي تجسد الاشتراك في الأهداف بين سكان كل قارة . أما على مستوى العالم . ، فهناك منظمة الأمم المتحدة التي تمثل « الاشتراك في الأهداف » الذي يجمع بين سكان الكرة الأرضية .

### ثالثاً- الاشتراك في المصلحة :

ثم يأتي العنصر الثالث ، وهو عنصر المصلحة ، ذلك لأن الاشتراك في



الأهداف لا بد أن يكون وراءه مصلحة يرغب المشتركون في بلوغها ، لذلك فإن تشابه المصالح عندما يقترن بالقرب ، فإنه يكيف الإحساس بالزمالة أولاً ، ثم بالصداقة . فالشباب المصرى ، على سبيل المثال ، يختلف عن نظيره الأمريكى ، ليس في البيئة فقط ، وإنما في الأهداف المشتركة أيضاً ، ومن ثم في المصلحة . . فالشباب الأمريكى يشترك مع مواطنه الأمريكى في الأهداف وفي المصالح . ومن هذه الأهداف ، على سبيل المثال لا الحصر ، الحفاظ على التفوق العسكرى لإسرائيل على الدول العربية مجتمعة ، بما فيها مصر وإيمانه بأن ذلك من مصلحة وطنه ، الولايات المتحدة الأمريكية . في حين أن الشاب المصرى ، بل والعربى فى أى مكان يشترك في الأهداف مع نظيره المصرى أو العربى مثل أن يكون العرب متفوقون على إسرائيل عسكرياً ، حتى يمكنهم أن يدافعوا عن أوطانهم عندما تهاجمها هذه الدولة العدوانية التوسعية من أجل تحقيق هدفها المعلن « من النيل إلى الفرات ملكك يا إسرائيل » . وهو التفوق الذى يعتبر الشباب العربى أن فيه مصلحة للدول العربية جميعاً ، ما كان منها مجاوراً لإسرائيل وما ليس كذلك . وعليه ، فإنه لا يتصور قيام صداقة بين الشاب المصرى أو العربى والشباب الأمريكى لما يوجد بينهما من اختلاف في الأهداف المشتركة وفي المصالح ، اللهم إلا إذا تخلى أحدهما عن إيمانه بالأهداف المشتركة لقومه ومجتمعه وكذلك عن مصالحهما . وعندئذ يثور التساؤل حول إخلاصه لأمتة وولائه وانتمائه لوطنه .

ولما كنا قد قلنا : إن زيادة أو نقص التشابه في الموضوعات الداخلة في نطاق الأهداف المشتركة يرتبط بعنصرى المكان والزمان ، وبينما ما يتعلق بالمكان دون الزمان ، فإننا نتناول هنا ما عنيناه بعنصر الزمان ، ونضرب له مثالا بما جرى ويجرى في فلسطين المحتلة التى ظلت من الموضوعات الداخلة

في نطاق الأهداف المشتركة وظل تحريرها من الاحتلال الإسرائيلي الاستيطاني هدفا ومصلحة لكل العرب منذ عام ١٩٤٨ وإلى الآن ، بل وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها . غير أنه كثيرا ما جاءت الأيام بتغيرات أدت إلى ضعف الاهتمام بالهدف وبالمصلحة معا ، ورواج أفكار جديدة وظهور دعاوى كاذبة زعم أصحابها أن للعرب والإسرائيليين أهدافا ومصالح مشتركة وليس العكس ، استطاعوا أن يضللوا بعض الشباب ، في مصر وفي غيرها حتى أقنعوهم بصحة مزاعمهم وصدقها ، فسافر منهم من سافر إلى إسرائيل ، وتزوج منهم من تزوج من نسائها ، وارتبط منهم من ارتبط بما أسماه صداقة مصرية أو عربية إسرائيلية ، واستكان الجميع إلى الخديعة غير مدركين أن للصداقة عناصر وشروطا لا تقوم بدونها ، إلى أن أقدمت إسرائيل ممثلة في أحد زعمائها المتعصبين المجرمين ويدعى « آريل شارون » على تلويث وتدنيس المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين في تحد وقح سافر لمشاعر المسلمين في كل مكان في مقدمتهم العرب منهم ، فلما عبر الفلسطينيون عن غضبهم وأعلنوا ثورتهم أو كما يحلو للإعلام العربي أن يسميها « انتفاضتهم » لم يتردد الأصدقاء اليهود في إطلاق نيران بنادقهم ورشاشاتهم بل وصواريخهم عليهم دون أن يفرقوا بين الشيخ والطفل والمرأة والرجل ، فقتلوا ما يزيد على الخمسمائة شهيد وأصابوا وجرحوا أكثر خمسة وعشرون ألف فلسطيني كثير منهم أصيبوا بعاهات مستديمة ربما أراد اليهود أن تكون رمزا للصداقة مع العرب !

وهكذا أثبتت هذه الأحداث أن الاشتراك في الأهداف وفي المصالح يتأثر لا بالمكان وحسب بل بالزمان أيضا ، وبالتالي فإن الأهداف المشتركة والمصالح قد تتغير مع الزمن إما كليا أو جزئيا ، لكن أن تبقى كما هي فهذا من المستحيل ، لأن سنة الحياة التغير .

#### رابعاً - القرب المكانى:

ثم يأتى عامل القرب ، وهو شرط أساسى فى الصداقة حيث لا يتصور أن تقوم صداقة بالمعنى الحقيقى بين اثنين يقيم كل منهما بعيدا عن الآخر ، فى قارة أخرى ، أو فى دولة أخرى أو فى مدينة أخرى . ذلك لأن الصداقة تقوم على التفاعل المستمر بين طرفيها . وهناك المثل الشعبى الذى يعبر عن ذلك أوضح تعبير ، والذى يقول « البعيد عن العين بعيد عن القلب » ، أى أن الشخص الذى لا تقع عليه عينك أو الذى لا تقع عيناه عليك يكون بعيدا عن قلبك وتكون بعيدا عن قلبه . والسبب بسيط ، وهو أنك طالما لا ترى هذا الشخص ، فإنك لا تعرف ما يكون عليه حاله من فرح أو حزن ، من صحة أو مرض ، من رضا أو غضب إلى آخره . كذلك فإن القرب يمكن الأصدقاء من اللجوء إلى بعضهم فى الملهمات والاستعانة ببعضهم بعضا فى الأزمات ، وعموما المشاركة الدائمة فيما يصادفونه من أفراح وأتراح والوقوف إلى جانب بعضهم البعض فى جميع الأحوال ، وفى هذا اختبار لصدق الصديق ووفائه وإخلاصه . أما الصداقة على البعد فتقتصر على الكلام ، ولا شئ غير الكلام الذى لا يدرى الشخص مدى صدقه وإخلاص قائله .

قد يقول البعض : لو أن القرب المكانى كان بهذه الأهمية لرأينا الصداقة تقوم بين كل من يجتمعون فى مكان واحد وبانتظام ، مثل : التلاميذ فى المدارس والطلبة فى الجامعات ، بل والإخوة والأخوات فى الأسرة ، والزملاء فى العمل إلى آخره . ولكن الملاحظ أن هؤلاء وأولئك نادرا ما تقوم بينهم صداقة بل كثيرا ما يقوم العداء فيما بينهم . وعليه فإن القرب المكانى قد لا يكفى لقيام الصداقة ، بل ولا الرؤية الدائمة تكفى .

ولهؤلاء أقول : إن القرب المكانى إن لم يكن شرطا فى قيام الصدقة ، إلا أنه شرط لاستمرارها . صحيح أنه ليس بشرط أن كل من يتواجدون فى مكان واحد تقوم بينهم صدقة ، وإن كنا نلاحظ أن الصدقة كثيرا ما تقوم بين زملاء فى المدرسة وفى الجامعة وفى العمل وفى النادى بل وبين الجيران ، وذلك لسبب بسيط ، هو أن القرب المكانى يتيح للشخص التعرف على آخرين والتعامل معهم بما يجعله على بينة من أخلاقهم وطباعهم وعاداتهم وميولهم ، وغير ذلك مما تحتاج إليه الصدقة الصحيحة والسليمة .

كذلك ، فإن القرب المكانى يكون هو فى الغالب الذى يجعل هناك أهدافا ومصالح مشتركة تماما كما بين الطلبة فى الدراسة والزملاء فى العمل وبين الجيران فى السكن . . . وهكذا . وعليه ، فإن القرب المكانى لا يكفى وحده لقيام الصدقة ، وإنما يجب أن يكون هناك تفاعلا بين الأشخاص الذين يقيمون فى المكان ؛ وتعد الأسرة المثال الواضح لأهمية التفاعل ، فعلى الرغم من اشتراك أعضائها فى الدم وفى المكان ، فإنه بدون التفاعل الوجدانى المستمر بينهم لا يمكن أن تقوم صدقة ، وهو التفاعل الذى يتغلغل بين الزوج والزوجة ، والآباء والأبناء ، والإخوة والأخوات . لذلك ، فإننا نلاحظ ما يحدث نتيجة لابتعاد الآباء عن أبنائهم والأزواج عن زوجاتهم لمدد تمتد إلى سنوات ، فإن الفتور يصيب علاقاتهم الحميمة التى تتحول إلى علاقة مصلحة مادية لا أكثر .

وإذا كان المجتمع هو جوار بين أناس يتشابهون جزئيا لهم بيئة مشتركة على نحو ما ويرتبطون بينهم بمصالح محددة ، فإن الصدقة التى هى رابطة اجتماعية بين أفراد هذا المجتمع لا يمكن أن تقوم غير مستوفية لهذه الشروط .

### خامسا- الإدراك أو الوعى :

وأخيرا . . . يأتى الشرط الخاص بما يسمى الوعى أو الإدراك ، والذى يعد

الحد الأدنى لحدوث التفاعل على المستوى الشخصى ، وأن يكون إدراكا متبادلا بين طرفى العلاقة وليس من طرف واحد . ذلك لأنه لا يكفى أن توجد أهداف مشتركة ومصالح ، وإنما يجب أن يكون هناك إدراك متبادل يقوم عليه الاتصال أو التفاهم ، وهما اللذان بواسطتهما يقوم التعارف بين شخصين أو أكثر، عن طريق اللغة أو بواسطة رموز أكثر بدائية يستخدمها الطرفين ، غير أنه يمكن أن تقل أهمية اللغة إذا كان أحد الشخصين يعرف بشكل جيد لغة الآخر ويستخدمها جيدا فى التفاهم معه أو الاتصال به ، مثل : شبابنا الذين يجيدون اللغة الإنجليزية أو الفرنسية .

ولكن ، هل تكفى اللغة لتوفر الإدراك أو الوعى لدى الأشخاص بالعناصر الأخرى اللازمة لقيام الصداقة فيما بينهم ، أم أنه يلزم توفر شرط آخر إلى جانب إجادة اللغة ؟

والإجابة : هى أن معرفة اللغة إلى حد الإجادة لا يكفى وحده لتوفر الوعى أو الإدراك على النحو الذى أسلفناه ، ذلك لأن اللغة ليست فى الحقيقة مجرد أداة للتفاهم بين الناس فقط ، ولكنها أيضا وسيلة تساعد على خلق مجموعة من الموضوعات الاجتماعية الدائمة ، بواسطة السجلات المكتوبة أو التراث الشفهى . . فالكلمات والرموز الأخرى لا تشير إلى الموضوعات فقط ، ولكنها تشير إلى موضوعات مشتركة يعلم مستخدموها أنها كذلك . ولنأخذ مثلا هو كلمة دير ياسين ، فهى إذا وردت فى قاموس جغرافى أجنبى سيقصر وصفها على أنها قرية أو مدينة صغيرة فى فلسطين أيام أن كانت تحت الانتداب البريطانى ، ثم أصبحت جزءا من دولة إسرائيل . هذا ما سيقراه الشخص الأجنبى وما سيعرفه عن دير ياسين . أما القارئ العربى ، فإن وعيه بالمعنى سيتجاوز هذا بكثير إلى ما حدث لأهل هذه القرية البائسة فى عام ١٩٤٨ ، حيث هاجمتها العصابات الإجرامية

اليهودية فذبحتهم عن بكرة أبيهم دون تفرقة بين الشاب والكهل أو بين الرجل والمرأة أو البالغ والطفل حتى ولو كان رضيعا ، وفيما بعد برر اليهود ذلك قائلين : إن ذلك كان بهدف إشاعة الرعب في نفوس بقية سكان فلسطين فيبادرون إلى الفرار تاركين وطنهم لهذه الطغمة المجرمة . كذلك إذا ذكر المسجد الأقصى ، فإن الأجنبي سيدركه كمكان مقدس لدى المسلمين يؤدون فيه الصلاة . أما العربي ، فإنه سيدركه بشكل آخر على نحو ما يحدث الآن .

ولا يقتصر اختلاف الوعي أو الإدراك على الأمور المادية كالقرية والمسجد ، وإنما يشمل فيما يشمله الأمور المعنوية ، مثل : الصداقة والحب والحميمية وغيرها ، فهي وإن بدت وكأنها تشير إلى نفس المعنى في اللغتين العربية والإنجليزية أو الفرنسية ، فإنها في الحقيقة تختلف في هذه اللغة عنها في تلك على النحو الذي بيناه في تناولنا لهذه الأمور .

ليس ذلك وحسب ، بل إن اللغة بصفة عامة تمتلئ بمفردات وتعابير تحمل معان غالبا ما لا يفهمها لأول وهلة غير المتكلمين بها . . . مثال ذلك : أن يقدم مواطن مصري أخته المتزوجة إلى الأجانب الذين حضروا معه إحدى الحفلات التي أقامتها سفارة الولايات المتحدة أو بريطانيا في القاهرة قائلا : مسز وجدى ، وهو اسم أبوهما ، فما سيتبادر إلى أذهان الحاضرين هو أنه إما زوجها وإما زوجة أبيه ، لا أنه أخاها ، حيث إن المرأة في الغرب تنسب إلى أسرة زوجها وليس إلى أسرة أبيها . أما إذا قال : مس وجدى ، فإنهم سيفهمون أنها أخته ولكنها غير متزوجة !

كذلك في الكلمات التي تعبر عن المشاعر والأحاسيس ، مثل : الخوف والرجاء والأمل والإيمان . . . وغيرها ، فإنها تختلف في مدلولها من لغة إلى أخرى ، وبالتالي يعجز الأجنبي عن إدراك معناها والوعي بمضمونها ، ومن ثم يفشل في إقامة صداقة حقيقية مع من يختلفون معه في اللغة .

فما بالنا إذا كانت لكثير من الشعوب لغتان لا لغة واحدة . . إحداهما تعرف باللغة الراقية أو الفصحى ، والأخرى تعرف باللغة أو اللهجة الشعبية أو العامية ، أى التى يتكلمها العامة كما هو الحال فى عالمنا العربى ! وكم صادفت من أجنبى إنجليز أو فرنسيين أو من غير هاتين الجنسيتين تعلموا العربية الفصحى إلى حد الإجادة ، ومع ذلك ظلوا عاجزين عن التفاهم لا مع العوام فحسب ، بل مع من هم أرقى منهم قليلا ممن لا يجيدون الكلام بالفصحى وما أكثرهم .

كذلك ما نلاحظه من اصطناع الشباب فى أيامنا هذه لغة ثالثة يتفاهمون بها فيما بينهم ، مثل : مونون ومتروشن ومبرشم ومبنج . . وغيرها . فضلا عن استخدامهم لكلمات فى غير معناها ، الأمر الذى يجعل من الصعب على من لم يكن فى مرحلة الشباب أن يقيم صداقة مع أحدهم . صحيح أنهم لا يلبثون أن يكفوا عن استخدام هذه الكلمات أو التعبيرات عندما يزدادون نضجا ، غير أن بلوغ آخرين مرحلة الشباب يبقى على هذه اللغة متداولة ، بل ويضيف إليها المزيد من الكلمات والتعبيرات .

وهكذا ، فإن قيام علاقة صداقة ، على البعد ، بواسطة البريد العادى أو الإلكترونى أو الفاكس أو الهاتف أو بواسطة الأشرطة التى يسجل عليها الصوت أو الأشرطة التى يسجل عليها الصوت والصورة معا ( أشرطة الفيديو ) أو عن طريق الإنترنت ، سواء اقتصر على تبادل الرسائل المكتوبة فقط أو امتد إلى رؤية أحد الطرفين للآخر على شاشتى الإنترنت بواسطة الجهاز الذى ينقل الصور بين الطرفين ، يكون متعذرا . وحتى لو نجح شخصين فى إقامة علاقة من نوع ما فيما بينهما على البعد ، فإنها لا تعد صداقة بالمرّة .







## الفصل الرابع

---

كيف  
تتخذ صديقا..؟!  

---



بعد أن عرفنا خصائص الصداقة ، بقى أن نبين لمن يرغبون فى اتخاذ أصدقاء كيف يمكنهم أن يفعلوا ذلك وبنجاح ؟ حيث إن اتخاذ الأصدقاء ليس عملاً سهلاً كما قد يظن البعض ، إنما هو من الأعمال التى تحتاج إلى جهود كبيرة ، وتتطلب توفر شروطاً معينة بدونها لا تقوم الصداقة أو على الأقل يكون عمرها قصيراً ، وقد تخلف مشكلات تنغص على طرفيها حياتهما .

ولكن لعله يجدر بنا ، قبل أن نبدأ فى بيان كيفية اتخاذ الأصدقاء ، أن نلفت انتباه القارئ العزيز إلى أن للصداقة أعداء لا يؤمنون بها ، كما أن لها أنصاراً يتحمسون لها ، وأن لكل حججه التى يبرر بها رأيه ويدعم بها موقفه . بالإضافة إلى هذين الفريقين ، يوجد فريق ثالث لا هو مع الصداقة ولا ضدها ، ويضم من نسميهم بالهامشين الذين يقفون على هامش الأحداث لمبالين تارة ومترددین أخرى ، قد ينضمون إلى هذا الفريق أو إلى ذاك فجأة ، وبدون مقدمات أو مبررات . وفيما يلى نعرض آراء الفريقين ، المؤيد للصداقة والمعارض لها ، لكى نترك لك حرية اختيار أيهما تنضم إليه . هذا إذا كنت لا تزال إلى الآن تقف من الصداقة على الهامش . أما إذا كنت تؤيدها وتؤمن بها ، فإن العرض سيزودك بحجج قوية تدعم بها رأيك وتسند موقفك أمام الذين يعادون الصداقة ممن قد تكون على علاقة بهم . أما إذا كنت ممن يناصرونها العداء ، فإننا سنبين لك الأسباب الكامنة وراء ذلك حتى يمكنك أن تتخلص منها ، لكى تصبح إنساناً سويًا سليماً يؤمن بالصداقة ويسعى إليها ويحرص عليها .

والصداقة مثلها مثل أى علاقة أخرى ، لها جانبها الحسن والسيئ ، وذلك لسبب بسيط ، وهو أنها علاقة إنسانية بين اثنين من البشر لا شك في اختلافهما في أمور عديدة ، وفي تباين مصالحهما إلى غير ذلك . كما أنها يتعرضان لعوامل مختلفة قد تكون بالنسبة لأحدهما سارة نافعة ، وبالنسبة للآخر على خلاف ذلك ، فتعكس على موقفه من الصداقة . وفيما يلي نعرض آراء الفريقين ، ونبدأ بالفريق المؤيد للصداقة .

### المؤيدون للصداقة :

كما سبق أن ذكرنا ، فإن الله تعالى قال في كتابه الكريم : ﴿ وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (١) . والمقصود بالتعارف هنا معنى شاملا يضم كل أشكال العلاقات الاجتماعية ، ومن بينها الصداقة ، أو بمعنى آخر الأخوة في الله ، التي كانت أول شيء فعله الرسول ﷺ لما هاجر إلى المدينة حيث آخى بين المسلمين . ولذلك يعبر عليه الصلاة والسلام عن الصداقة بكلمة « أخوة » ، فقد روى عنه أنه قال : ( إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه حتى يحبه ، فإن القلوب تتجارى ) ( تتسلم وتتوافق ) . وروى أيضا أنه ﷺ قال : ( الأرواح جنود مجندة تتلاقى في الهواء ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ) .

وقال معاذ بن جبل : خير الرجال الألف ( الذى يألف الناس ) ، وشرهم العزوف ( الذى يبتعد عن الناس ) ، ولا يحب أن يتعرف بهم ( ويصادقهم ) .

وقال أبو حيان التوحيدي : الإنسان لا يمكنه أن يعيش وحده يستوى له

(١) سورة الحجرات / ١٣ .



● قال أعرابي : الغريب من لم يكن له حبيب .

أن يأوى إلى المقابر . ولا بد له من أسباب بها يحيا ، وبأعمالها يعيش ،  
فبالضرورة يلزمه أن يعاشر الناس ، ثم بالضرورة يصير له بهذه المعاشرة  
بعضهم صديقا ، وبعضهم عدوا ، وبعضهم منافقا ، وبعضهم نافعا ،  
وبعضهم ضارا .

ثم بالضرورة يجب عليه أن يقابل كل واحد منهم بما يكون له من دين أو  
عقل أو فتوة أو نجدة ، ويستفيد من ذلك كله ما يكون خاصا به ، وعائدا  
بحسن العقبي عليه ، إما في العاجل ، وإما في الآجل ، ولعزة الحال ( عز  
الشيء - قل فلا يكاد يوجد ولا يقدر عليه ) في وجدان الصديق ( وجود  
الصديق والظفر به ) ، وتعذر السلامة على القريب والبعيد . يريد أن  
يقول : إن الحصول على أصدقاء أصبح أمرا صعبا . وهو ما يردده كثيرون  
هذه الأيام .

قال أعرابي : الغريب من لم يكن له حبيب .

وقال الخليل بن أحمد : الرجل بلا صديق كاليمين بلا شهاد .

وقال الحسن بن وهب : طرف ( جمع طرفة - وهي المصلحة ) الصداقة أملح  
من طرف العلاقة ، والنفس بالصديق آنس منها بالعشيق . ( المعنى أن ما  
يصدر عن تربطك به صداقة أجمل وقعا على النفس وأطيب أثرا فيها مما  
يصدر عن تربطك به علاقات خالية من الصداقة كعلاقة عمل أو علاقة  
مكان ، أو ما إلى ذلك ) .

وقال أعرابي : أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان ، وأعجز منه من  
ضيع من ظفر به منهم .

قال معاوية : المودة بين السلف ، ميراث بين الخلف ( إن المودة بين

الأصدقاء ميراث يتوارثه الأبناء عن الآباء ، فيودون من كان يود آباؤهم ويعادون من كانوا يعادون ) . .

وقال عبد الملك بن صالح : مشاهدة الإخوان أحسن من إقبال الزمان ، وألذ من نيل الأمان .

وقيل لعبد الله بن أبي بكرة : أى شىء أمتع ؟

قال : ممازحة محب ، ومحادثة صديق ، وأمانى تقطع بها أيامك .

وقال ابن المقفع : لا صديق لثلاثة : للميت ، وللفقير ، وللمحبوس .

#### أعداء الصداقة :

من الذين عارضوا الصداقة جميل بن مرة الذى عوتب فى اعتزاله الناس ، فقال : لقد صحبت الناس أربعين سنة ، فما رأيتهم غفروا لى ذنبا ولا ستروا لى عيبا ، ولا حفظوا لى غيبا ، ولا أقالوا بى عثرة ، ولا رحموا لى عبرة ، ولا قبلوا منى معذرة ، ولا فكرونى من أسرة ، ولا جبروا لى من كسرة ، ولا بذلوا لى نصرة . ورأيت الشغل بهم تضييعا للحياة ، وتباعدا من الله تعالى ، وتجرجعا للغيط مع الساعات ، وتسليطا للهوى فى الهنات بعد الهنات .

وقال الفقيه سفيان الثورى لرجل قال له أوصنى ، قال : أنكر من تعرفه ، قال : زدنى ، قال : لا مزيد .

وكان بن كعب يقول : لا خير فى مخالطة الناس ، ولا فائدة فى القرب منهم والثقة بهم والاعتماد عليهم .

وقيل لروح بن زنباع : ما معنى الصديق ؟ قال : لفظ بلا معنى ، أى هو شىء عزيز كأنه ليس بموجود ، ولو جهل معنى الصديق ، لجهل معنى الصاحب ، ولو جهل معنى الصاحب ، لجهل معنى الخليل ، وعلى هذا :

الحبيب، والرفيق، والأليف، والوديد، والمؤاخى، والمساعد . . هذه كلها من نوع واحد، وإنما تختلف بالمرتبة فى الأخص، والأعم والألطف، والأكنف، وبالأقرب والأبعد، والأخلص والأريب .

قال الشعبى : تعايش الناس بالدين زمانا حتى ذهب الدين، ثم تعايشوا بالمروءة حتى ذهبت المروءة، ثم تعايشوا بالحياء حتى ذهب الحياء، ثم تعايشوا بالرغبة والرغبة، وسيتعايشون بالجهالة زمانا طويلا (الجهالة ضد العلم والمعرفة).

وقيل لميسور بن مخرمة الزهرى : أى الندماء أحب إليك ؟ قال : لم أجد نديا كالحائط، إن بصقت فى وجهه لم يغضب على، وإن أسررت إليه شيئا لم يفشه عنى .

وكان بعض السلف يقول فى دعائه : اللهم احفظنى من أصدقائى، فسئل عن ذلك فقال : إنى أحفظ نفسى من أعدائى .

قال ابن أبى كانون : إذا أردت الحق علمت أن الصداقة والألفة والأخوة والمودة والرعاية والمحافظة قد نبذت نبذا، ورفضت رفضا، ووطئت بالأقدام ولويت دونها الشفاه (أعرضت عنها الشفاه وسكتت عن ذكرها والاهتمام بشأنها)، وصرفت عنها الرغبات .

ومما قاله أعداء الصداقة عنها يتبين أن هذا العداء ناشئ عن أنهم خاضوا تجارب فاشلة مع من اعتبروهم أصدقاء، بينما الحقيقة أنهم لم يكونوا كذلك . وعموما، فإن العيب ليس فى الصداقة، لكن العيب هو إما فى الصديق الذى يشكو مما أصابه من الأصدقاء كأن يكون عصيبا سريع الغضب سهل الاستشارة، أو أن يكون طماعا جشعا يريد صديقا يحصل منه على شيء، مثل الرجل الذى قال لابن عطاء : أنا فى طلب صديق منذ



ثلاثين سنة فلا أجده، فقال له : لعلك في طلب صديق تأخذ منه شيئاً ، ولو طلبت صديقاً تعطيه شيئاً لوجدت . أو أن يكون بخيلاً مقترراً ، أو مثالياً أكثر مما يجب فيهجره الأصدقاء أو يسيئون إليه بشكل أو بآخر ، أو أن يكون ممن لا يحسن اختيار من يتخذهم أصدقاء ، أو أن يكون قد قصر في القيام بواجبات الصداقة ، أو غير ذلك من الأسباب التي يوجد بعضها في الرجل الذي يشكو من الصداقة ويناصبها العداوة ، ويوجد البعض الآخر فيمن يشكو منهم ممن كان يعتقد أنهم أصدقاء فتبين له أنه كان مخطئاً . وسنبداً ببيان الأسباب التي توجد لدى طالب الصداقة : ولكي ينجح مسعى الراغب في الصداقة ، فإن هناك شروطاً يجب استيفائها ، منها ما هو خاص به ، ومنها ما هو خاص بالطرف الآخر وهو الشخص الذي يرغب في أن يقيم معه صداقة . ونبدأ بالشروط الخاصة بالساعي إلى الصداقة . أما الشروط اللازمة لتوافرها في الطرف الآخر فسنتناولها في الفصل التالي .

### الشروط التي يجب توافرها في الساعي إلى الصداقة :

#### أولاً - الذكاء :

اتخاذ الأصدقاء باعتباره سلوكاً ، يتكون من عناصر عقلية وأخرى معنوية ، أي أخلاقية . لذلك يجب أن يتوفر للشخص من الذكاء ما يمكنه من فهم ما لهذا السلوك من ضرورة ، كما يجب أن يكون لديه من قوة الشخصية ما يمكنه من حمل نفسه على اتباع القواعد التي تستند إليها عملية الفهم هذه .

وعلى ذلك تكون القدرة على اتخاذ الأصدقاء ميزة عظيمة لا تتوفر إلا للأذكاء وأصحاب الإرادة القوية . فهل معنى هذا أن المجتمع الذي يتميز سكانه بارتفاع معدلات الذكاء فيهم تكون فيه الصداقة أكثر انتشاراً مما في

غيره من المجتمعات التى تنخفض فيها معدلات الذكاء ؟ بالطبع لا . .  
ذلك لأن الصدقة تحتاج فى قيامها واستمرارها إلى عناصر أخرى غير  
الذكاء ، وهو ما سنلقى الضوء عليه بعد أن نتكلم فى باقى الشروط .

### ثانياً - أن يكون الشخص اجتماعياً :

وهنا يجب التفرقة بين ما إذا كان اجتماعياً بالطبع ، أم بالتنشئة والتربية ،  
ذلك أنه إذا كان اجتماعياً بالطبع ، فإن دور التنشئة والتربية يقف عند حدود  
توجيه ذلك الطبع التوجيه الصحيح بحيث يصبح الشخص منسجماً متوائماً  
مع مجتمعه . أما إذا كانت اجتماعية الشخص مكتسبة بالتنشئة والتربية ،  
فإن هذه وتلك تكون مسئولة عن المستوى الذى بلغه فى قدرته على اتخاذ  
الأصدقاء علماً بأن هذا المستوى لا يقف عند حد معين ، بل يزيد وينمو  
باستمرار بسبب التفاعل بين الشخص والواقع الاجتماعى الذى يعيش فيه .  
فطالما كان هناك تفاعل ، فإن الشخص يمكنه أن يتخذ من الأصدقاء ما  
يشاء . والمقصود بالتفاعل هنا الخبرة التى يكتسبها الإنسان كل يوم ، بل  
وفى كل لحظة من حياته . غير أن ذلك مشروط بالآتى :

أ - أن يكون الشخص فى مرحلة عمرية تمكنه من القيام بذلك التفاعل  
المستند إلى الخبرة ، كأن يكون طفلاً مميزاً على الأقل وليس دون ذلك ، لأنه  
لا يكون مهياً للتعاون مع الآخرين . كما لا يصح إجباره على القيام بذلك و  
إلا أصيب بضرر نفسى ، وقد يأخذ به العناد كل مأخذ ويفقد القدرة على  
التعاون فى مستقبل أيامه ، حتى عندما يكون مستعداً بالطبع للتعاون مع  
غيره من الأشخاص<sup>(١)</sup> . فكثيراً ما نرى أمهات يحاولن بشتى الوسائل دفع  
أبنائهن الصغار إلى إقامة صداقة مع أطفال آخرين ، سواء أثناء زيارة هؤلاء

(١) يوسف ميخائيل أسعد ، الشخصية المتكاملة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة  
١٩٩٣ ، ص ٢٣ .

الأمهات لصديقات أو قريبات لهن لديهن أطفالا صغارا ، أو عند وجودهن في النادي أو في المصيف ، وذلك عندما يلاحظن نفور أولادهن من هؤلاء الأطفال وانعدام الرغبة لديهم في التعامل معهم ، فيتصورون أنهم ليسوا أسوياء من الناحية النفسية ، وأن عليهن أن يبادرن إلى التدخل لتعويدهم على اتخاذ الأصدقاء دون أن يأخذن بعين الاعتبار ما قد يكون هناك من أسباب أو عوامل أثرت في أولادهن فجعلتهم يتخذون هذا الموقف من الأطفال الآخرين . من ذلك - مثلا - أن يكون الطفل الآخر قد بادر ابنها بالعداء خلصة ، كأن يضربه أو يستولى على ما معه من حلوى أو لعب ، أو أن يكون أنانيا رفض أن يعطيه جزءا مما معه من حلوى أو طعام ، أو أن يريه اللعبة التي معه مما كان سببا في نفور الابن منه . وبالتالي ، فإن قيام صداقة بينهما يحتاج إلى إجراءات وتدابير تخلو من القهر أو مجرد الضغط حتى لو كان في صورة الإغراء بمنفعة تعود عليه .

**ب -** أن يكون الشخص متمتعا بحالة نفسية طيبة واثقا بنفسه ولديه استعداد لتقبل الموقف والرضا عنه . أما إذا كان حاله غير ذلك ، فإنه يكون من الصعب عليه اتخاذ الصديق أو الأصدقاء ، كأن تكون الجماعة التي قامت بينه وبينها علاقة قد أظهرت نحوه اللامبالاة أو عدم التقدير . وعندئذ يدفعه سوء الظن بهم إلى النظر إلى تصرفهم على أن الباعث عليه هو كراهيتهم له أو احتقارهم لشأنه أو غير ذلك ، مما قد يؤدي به إلى أن يعتدى عليهم بالقول أو بالفعل بدلا من أن يحاول إصلاح ما بنفسه . وهكذا فبدلا من أن يفوز بصداقة يكسب عداوة !

**ج -** أن يكون في حالة صحية جيدة ، لأن إصابته بالمرض قد تشعره بالتعب أو الإجهاد أو الألم ، مما ينعكس على سلوكه وردود أفعاله إزاء أشخاص يصلحون لأن يتخذ منهم أصدقاء ، فتكون النتيجة أن ينفروا منه

أو على الأقل لا يجدون في أنفسهم رغبة في الارتباط معه برابطة صداقة . وهذا قد يكون عند بداية قيام الصداقة حيث يفتقر الأصدقاء الجدد إلى المعلومات الكافية والوافية عن الصديق الجديد ، ومن بينها أنه مريض ، فيظنون أنه إذا تغيب عنهم بسبب المرض ، أنه غير راغب في صداقتهم ، أو أنه يستعلى عليهم ، أو غير ذلك فينفرون منه . أما إذا أصيب بالمرض أثناء قيام الصداقة بينه وبينهم لم يكن هناك مجال لسوء الظن به ووجب عليهم أن يبذلوا له المزيد من الحب والاهتمام وأن يحيطوه بالرعاية والعناية ، لا أن ينفضوا من حوله ويتخلوا عنه ، وإلا كانوا جاحدين منافقين وصوليين وغير جديرين بالاحترام أو الثقة فيهم والاعتزاز بهم .

د- أن لا يكون الشخص مصابا بمرض نفسى ، مثل : الاكتئاب أو الخوف المرضى أو الوسواس أو الأفعال القهرية أو الأفكار الثابتة ، مما ينعكس على تصرفاته حيال الآخرين ، ويحد بدرجة كبيرة من قدرته على اتخاذ الأصدقاء .

وفضلا عما تقدم ، فإن نجاح الشخص ، سواء فى اتخاذ الأصدقاء أو فى الاحتفاظ بهم ، يتطلب أن يكون بعيدا عن التكلف أو التظاهر والمحاكاة لغيره ، بل يكون تلقائيا فى سلوكه معبرا عن ذاته صادقا مع نفسه ومع الآخرين ، الذين لن يكون من الصعب عليهم إدراك ما إذا كان متكلفا أم تلقائيا ، وبالتالي يحرصون على صداقته أو يزهدون فيها .

كذلك أن يكون سلوكه متسما بالاتساق والانسجام بعضه مع بعض ، سواء فى دخيلة نفسه أو فى ظاهره وما يبدو منه للناس ، ولا يكون متناقضا ، وإلا عده الناس مرائيا غير جدير بالصداقة والاحترام . وأخيرا أن يكون قادرا على استيعاب خبراته وتجاربه ، وكذلك الاستفادة منها فى تنمية شخصيته والمضى بها نحو التكامل .

ولكن ، كم من الناس يملكون هذه القدرة ؟ إنهم في الحقيقة قليلون ، بل أقل من القليل ، وهو ما يفسر القدرة الفائقة التي لدى البعض على اتخاذ الأصدقاء بسهولة وبأعداد كبيرة ، وعجز الغالبية عن اتخاذ الأصدقاء أو الحفاظ على ما أقاموه منها ، وهو ما يعزوه البعض لا إلى افتقارهم إلى القدرة أو الموهبة فقط ، بل إلى غلبة المادة على القيم والمثل العليا واجتياحها لها بسبب محاكاة الشعوب للحضارة الغربية ، مما جعل مفكرا غربيا أمينا وموضوعيا هو الكسيس كارل يقول : « إن أية دراسة لبعض الأمم ، مهما كانت هذه الدراسة سطحية ناقصة ، ترينا الفشل في الحياة الفردية والاجتماعية . وعلامات هذا الفشل واضحة كل الوضوح كانتشار السكر ، وتفكك الأسرة ، وكثرة النساء المهجورات من أزواجهن أو المطلقات ، والأطفال الذين تنقصهم التربية أو سلامة التكوين الجسماني ، وقلة الذرية ، والحسد ، والانقسام العميق في قلب كل مجموعة اجتماعية ، والفرقة والعجز عن المساهمة في عمل مشترك ، سواء أكان العمل يتعلق بالأسرة أم بالمصنع أم بالمكتب أم بالقرية ، وكذلك بالجامعة والمستشفى والأعمال الخيرية » (١) .

ولقد تم هذا التغير بسرعة أفقدت الكثيرين توازنهم فواجهوا عجزهم عن اتخاذ الأصدقاء أو فشلهم في الحفاظ عليهم بالانسحاب من الميدان ، وإعلان عدم إيمانهم بوجود صداقة . والملاحظ أن نسبة كبيرة من الشباب يفتقرون إلى القدرة على اتخاذ الأصدقاء ، وتنقصهم الموهبة اللازمة لاكتسابهم . كما أنهم يعيهم المحاكاة السريعة والكاملة لآخرين غالبا ما

(١) انظر : الكسيس كارل ، تأملات في سلوك الإنسان . . الحضارة الحديثة في الميزان ، ترجمة دكتور محمد القصاص ، مكتبة مصر بالفجالة ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ١٩١ .

يكونون غير أسوياء أو - على الأقل - سطحيين وتافهين ، ولكن يتميزون بالمرح وخفة الدم وحضور البديهة ، وإن كان فيما لا يفيد .

### ظاهرة الغلس والقفل :

ونعنى بها الأوصاف التى يطلقها الشباب على نظرائهم ، فيقولون عن الواحد منهم : غلس أو قفل أو دهل أو غير ذلك ، حتى ولو لم يكن لهم بهم سابق معرفة ، وإنما هى أحكام مسبقة يصدرونها على أنماط من الناس أو الشباب لا تستند إلى أى قاعدة علمية فى التصنيف أو التنميط ، وإنما هى المحاكاة لنفر قليل من الشباب السطحي اللامبالي والمستخف بالأخلاق ، الساخر من القيم والمثل العليا . أما الذين يحاكونهم من الشباب ، فإنما يفعلون ذلك بسبب يرجع إلى ضعف الشخصية والعجز عن الإبداع ، وربما تدنى مستوى الذكاء . وهو سلوك غير سوى يؤدى فى الغالب إلى عدم قيام صداقة بينهم وبين الآخرين . ومن الأنماط الشائعة لدى الشباب نمط « الغلس » ، ونمط « السمج » ، وأنماط أخرى عديدة كثيرا ما نسمع الشباب ذكورا وإناثا يرددونها ، إلى الحد الذى جعلنا نتصور أنه يندر أن يكون هناك شاب ليس غلسا أو سمجا !

وسواء كانت هذه الأحكام مسبقة ، أى صدرت من صاحبها قبل أن يحاول معرفة الآخر وفهمه ، أو لم تكن مسبقة ، وإنما صدرت منه بعد أن فعل ذلك ، لكنه لم يجد استجابة لمحاولته ، فإنه يتعين على الفرد فى علاقاته بالآخرين أن يتعلم كيف يلاحظ أحسن مستوى لسلوكه الخاضع فى علاقته بسلوك الآخرين ، ويحاول أن يحسن هذا السلوك حتى يستطيع أن يتوافق ويتكيف بمعدلات أفضل مع المجتمع الذى يعيش فيه ويتعامل مع أفرادِهِ .

كذلك ينبغى أن يكون الفرد صادقا مع نفسه ، فإن إمكانيات عدم التكيف وسوء الفهم والتفاهم هى التى تؤدى إلى اختفاء عنصر التعاون



● الاستعانة بالآباء والأقارب عند إختيار الأصدقاء ليس فيه ما يتعارض مع كونهم مستقلين ولهم شخصية حرة ومتميزة.

الذى لا يقتصر على انخفاض معدلات الصدقة وحسب ، بل ويؤدى إلى التأثير فى مستوى الجهد الجماعى ، مما يؤدى إلى انخفاض معدلات الإنتاج .

إلى غير ذلك من الأسباب والعوامل التى جعلت ظواهر ، مثل : التوافق وعدم التوافق ، والتكيف وسوء التكيف ، والقبول وعدمه ، والرضا والتبرم ، والجاذبية والنفرة ، والتفاهم وسوء التفاهم . . من الظواهر الملحوظة على أوسع نطاق فى العلاقات بين الأشخاص بعامة ، وفى علاقة الصدقة بخاصة (١) .

### استعانة الصغار بخبرة وعلم الكبار عند اتخاذ الأصدقاء :

إذا كانت الصدقة مهمة جدا وضرورية للفرد ، وبخاصة فى مرحلة الشباب التى هى فى الواقع البداية الحقيقية للصدقة ، ونعنى بها هذه العلاقة الواعية البناءة والهادفة والتى تختلف كثيرا عما يمكن أن نسميه صداقة تجاوزا ، وهى العلاقة التى تكون بين الأطفال فيما قبل البلوغ والتى لا تخلو من سذاجة وضعف وعى بكنهها وأهدافها ووسائلها . . فإن هذه الصدقة قد تنطوى على أخطار وتؤدى إلى أضرار إذا أساء الفرد اختيار أصدقائه . لذلك ، فإنه من الأهمية بمكان أن يلجأ إلى أبيه وأمه ومن يكبرونه فى السن ويزيدون عنه فى العلم والخبرة ليستعين بهم فى اختياره ، حتى لا يعرض نفسه للأخطار أو الأضرار التى لا بد أن تنشأ عن سوء اختياره . وأقول للشباب بكل الصراحة والصدق : إن تصرفهم على هذا النحو ، وأعنى به الاستعانة بالآباء والأقارب عند اختيار الأصدقاء ليس فيه ما يتعارض مع كونهم مستقلين ذوى شخصية حرة متميزة ، بل هو على العكس إنما يدل على قوة شخصيتهم وثقتهم فى أنفسهم وحريتهم

(١) مصطفى الخشاب ، معجم العلوم الاجتماعية ، ص ٤٠٤ .



واستقلالهم ، ثم إن ما سيصدر عن الآباء من آراء بشأن الصديق أو الأصدقاء لن يكون ملزماً ، بل سيكون لهم أن يأخذوا به أو أن يرفضوه ويتحملوا وحدهم العواقب .

وتلعب الأسرة دوراً مهماً في إعداد الفرد لأن يكون صديقاً ناجحاً أو لا يكون ، وذلك من خلال عملية التنشئة الاجتماعية . لذلك ينبغي أن يتدرب الأفراد على كيفية الاندماج في الأوساط الاجتماعية . وكيف يجسّنون استجاباتهم في مواقف متعددة لكي تكون فاعلة أكثر نحو شخص معين ، وفي موقف معين ، وبطريقة تقدم مشاركة متجانسة وإيجابية . كما ينبغي أن يتدرب على كيفية التحكم في الضوابط الاجتماعية التي تؤثر في علاقاتنا أو تحد من انطلاقاتها ، وكيف يمكن القضاء على نذر المقاومة أو الاتجاهات السلبية التي تبدو من البعض في غمرة التفاعلات الاجتماعية التي طالما تنشأ في قلب كل جماعة أيا كان نطاقها من احتكاك الفكر بالفكر والعمل والمشاعر ، لأن الملاحظ أنه كلما توافر الإحساس المتكامل بالانتماء للجماعة نمت العلاقات في جو من الصفاء والتواصل الاجتماعي . وكلما كانت درجة التعاون التلقائي أعلى ، كان الأفراد أكثر كفاءة وأكثر تفاهماً وأقوى ارتباطاً بأهداف عملهم .

وتلعب الأم دوراً يفوق الدور الذي يلعبه الأب في تنشئة الأبناء على الميل إلى الصداقة والاستعداد لاتخاذ الأصدقاء ، وذلك لسبب بسيط هو أن الأب يقضي وقتاً طويلاً خارج البيت بعيداً عن الأبناء الذين يكونون مع الأم ، سواء في البيت أو خارجه في زيارتها للأهل أو للصديقات واصطحابها لهم معها ، فإذا كان مع الزائرات - أو لدى الأقارب - أبناء في سن أبنائها أو قريباً من هذا السن ، فإنها يمكن أن تلاحظ بسهولة ما إذا كان أولادها يقبلون على هؤلاء الأولاد فيلعبون معهم ويتوددون إليهم أم لا . فإذا كان العكس ، فإن

عليها أن تبادر إلى التدخل من أجل أن تتعرف على ما قد يكون هناك من أسباب وراء عزوف أبنائها عن التعامل مع الأولاد الآخرين . وليس بشرط أن يكون السبب وجود ميول انعزالية أو عدوانية لدى أبنائها ، ولكن غالبا ما تكون هناك أسباب أخرى ، ومن ثم يجب التعرف عليها ومواجهتها بالأسلوب المناسب .

ومن العيوب التي تحول دون نجاح الشخص في اتخاذ أصدقاء أو تقف حجر عثرة دون استمرار الصداقة أطول وقت ممكن ، الجهل بواجبات الصداقة أو تعمد عدم القيام بها . وفيما يلي نبين هذه الواجبات لكي يلم بها الراغبون في الدخول في صداقات ، وأيضا من كانوا أصدقاء جدد ، ويهمهم أن تستمر صداقاتهم وتُدوم .

### ما يجب على الصديق نحو صديقه :

تباينت الآراء في شأن ما يجب على الصديق نحو صديقه ما بين آراء توسّع من هذه الواجبات ، وأخرى تضيق منها ، وثالثة لا توسّع ولا تضيق ، فهي وسط بين الاثنين ، وذلك على النحو التالي :

### أولا - الآراء الموسعة :

يأتى فى مقدمة الموسعين فى الواجبات التى على الصديق نحو صديقه أبو حامد الغزالى ، والذى قال : إن للصديق من الحقوق على صديقه سبعة عشر حقاً ، وهى : (١) أن يؤثره بهاله . (٢) أن يبادر إلى تقديم العون له . (٣) أن يكتُم سره . (٤) أن يستر عيوبه . (٥) أن لا يبلغه ما قد يسمعه من ذم الناس له . (٦) إبلاغه ما يسره من ثناء الناس عليه . (٧) أن يحسن الإصغاء إليه إذا تكلم . (٨) أن يدعو به بأحب أسمائه إليه . (٩) أن يثنى عليه بما يعرفه من محاسنه . (١٠) أن يشكره على صنيعه فى وجهه . (١١) الدفاع عنه

في غيبته . (١٢) نصحه باللطف . (١٣) العفو عن زلته . (١٤) إحسان  
الوفاء مع أهله . (١٥) التخفيف عنه في المنكاره . (١٦) إظهار السرور لرؤيته  
(١٧) السلام عليه عند لقائه .

من الموسعين أيضا أبو حيان التوحيدى ، فإنه يرى أن للصديق على  
صديقه عشرة واجبات هي الآتية :

(١) أن من حق الصديق على صديقه القيام بأعبائه في غيابه . (٢)  
حفظه ومعاونته عند حضوره . (٣) ملاطفته إذا جفا . (٤) مكافأته إذا وفق  
في عمل . (٥) الحديث عنه الحديث الطيب مع الأصدقاء الآخرين . (٦)  
دفع الظلم عنه . (٧) الابتهاج لرؤيته . (٨) الحفاظ على سره . (٩) عدم  
تصديق ما يقال عنه . (١٠) معاتبته إذا وقع خلاف معه بدلا من قطع  
الصلة به نهائيا .

### ثانيا - الآراء المضيقّة :

من أصحاب هذه الآراء عبد الله بن جعفر الذى قال : إن الواجبات  
التي على الصديق نحو صديقه ثلاثة ، هي : (١) أن يعاشر أهل الرأي  
والفضيلة . (٢) مداراة الناس بالمخالفة الجميلة ، بمعنى أن يكون حسن  
الخلق في معاشرته لهم . (٣) أن يقتصد في الإنفاق ، ولكن بدون بخل .  
وأضاف قائلا : فذو الثلاث سابق ، وذو الاثنى زاهق ( متقدم ) ، وذو  
الواحدة لاحق ، فمن لم تكن فيه واحدة من الثلاث لم يسلم له صديق ، ولم  
يتحنن عليه شفيق ، ولم يتمتع به رفيق .

ومنهم أيضا الأحنف الذى يرى أن الواجب على الصديق : (١) أن  
يعفو عن صديقه إن هو ظلمه . (٢) أو تدلل عليه . (٣) أو أخطأ في  
حقه .

وفى رأيه أيضا أن الواجب على الصديق : (١) أنه إذا استغنى عنه صديقه لم يزد في المودة . (٢) وإذا احتاج إليه لم ينقصه منها . ففي الحالتين يكون خير الأصدقاء .

وهناك أيضا ذلك الأعرابي الذي سئل عن الواجبات التي تقع على عاتق الصديق ، والتي إذا قام بها نحو صديقه كان من أكرم الناس عشرة ؟ فقال :  
(١) من إن قرب منح . (٢) وإن بُعد مدح . (٣) وإن ظلم صفح .  
(٤) وإن ضويق سامح . فمن ظفر بهذا الصديق فقد أفلح ونجح .

ولكن ، على بن عبيدة نزل بالواجبات ، التي يرى أن يلتزم بها الصديق نحو صديقه ، إلى أدنى حد فجعلها واجبا واحدا فقط ، هو : الحياء . فقال : إنه يجب على الصديق أن يكون عنده حياء في تعامله مع صديقه ، وإلا كان على صديقه أن يتركه لأنه لا دواء لمن لا حياء له ، ولا حياء لمن لا وفاء له ، ولا وفاء لمن لا إخاء له ، ولا إخاء لمن يريد أن يجمع هوى أخلائه له حتى يحبوا ما أحب ، ويكرهوا ما كره ، وحتى لا يرى منهم زلا ولا خلا .

وقال البنوي : إنه مما يجب على الصديق نحو صديقه : (١) أنه إذا تعثر أقاله من عشرته . (٢) وإذا انحرف أو أفسد قومه أي أصلحه . (٣) وإذا ضل سواء السبيل يهديه . (٤) وإذا أصابه الملل صبر عليه . (٥) وأن يكفيه ما لا يعلم وما علم .

### ثالثا - الآراء الوسط :

هي الآراء التي لا هي موسعة ولا هي مضيقة بخصوص الواجبات التي على الصديق نحو صديقه . ومن اتبعوا هذا النهج ضياء الدين السهروردي الذي يرى أنه مما يجب للصديق على صديقه ستة واجبات فقط وليس سبعة عشر ، كما قال الغزالي ، وهي الواجبات التالية :

(١) أن يحفظ حرماته . (٢) أن يحسن معاشرته . (٣) أن لا يضمن عليه بالنصيحة . (٤) أن يؤثره بهاله . (٥) أن يبذل له العون في الدنيا والدين . (٦) أن يصبر على ما قد يصدر عنه من أفعال تنطوي على إيذاء له . وذلك عملاً بحديث رسول الله ﷺ : ( المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم ، وفي كل الخير ) .

قد يقول قائل ، بعد قراءة ما تقدم بشأن الواجبات التي على طالب الصداقة الالتزام بها وأداؤها لمن يرتبط معهم بالصداقة : يا لله ! وما شأنى أنا بكل هذا؟! ثم ما الذي سيعود على من الصداقة ؟ . أما عن شأنه بكل هذا ، ونعني به واجباته نحو من سيصادقه ، فأنا أقول له : إن الصداقة علاقة بينك وبين شخص آخر ، وكما تتحمل أنت بواجبات نحوه ، فهو أيضا عليه نفس الواجبات . وبالتالي ، فإنك إن وفيت بما عليك فسيوفي هو أيضا ما عليه . . وهكذا .

### فوائد الصداقة :

أما بخصوص التساؤل عما سيعود عليك من الصداقة بعد كل هذا العبء المتمثل فيما يسمى واجبات الصداقة ، فالرد هو أنك ستحصل على فوائد عديدة وليس فائدة واحدة ، وها هو ابن المقفع يقول في فائدة الصداقة والأصدقاء : اعلم أن إخوان الصديق هم خير مكاسب الدنيا ، هم زينة في الرخاء ، وعدة في الشدة ، ومعونة في المعاش والمعاد ، فلا تفرطن في اكتسابهم وابتغاء الوصلات والأسباب إليهم<sup>(١)</sup> .

وهذا يونس التحوى ينصح ويحذر ، فيقول : لا تعادين أحدا ولإن ظننت أنه لا يضرك ، ولا تزهدن في صداقة أحد ولإن ظننت أنه لا ينفعك ،

(١) الأدب الكبير ، باب في معاملة الصديق .

فإنك لا تدري متى تخاف عدوك ، وترجو صديقك ، ولا يعتذر أحد إليك إلا وقبلت عذره ، وإن علمت أنه كاذب .

كذلك ، فإن الصداقة فيها فوائد أخرى بالغة الأهمية بعضها نفسى والآخر اجتماعى .

وحديثا ، فإن الغالبية العظمى من البحوث النفسية تتفق على وجود صلة وثيقة بين التفاعل مع الأصدقاء والتوافق النفسى والاجتماعى فى كل مراحل الحياة بصفة عامة ، وفى مرحلتى الطفولة والمراهقة بصفة خاصة . وهو ما سنوضحه فيما يلى :

### أولا- الفوائد الاجتماعية :

إن للصدقة فوائد اجتماعية عديدة يأتى على رأسها الدور الذى تقوم به فى عمليات التنشئة الاجتماعية ، وذلك من ناحية ما تعين الفرد على اكتسابه من مهارات وقدرات وسمات شخصية مرغوب فيها اجتماعيا ، وبالذات فى مرحلة الطفولة ، حيث تسهم بقوة فى ارتقاء المهارات الاجتماعية التى تتطلب توافر القدرة على التخاطب الناجح مع الأطفال الآخرين ، وأيضا فى ارتقاء القيم الأخلاقية والأدوار الاجتماعية لديهم ، فضلا عن أنها تمدهم بإدراك واقعى لذواتهم بالمقارنة بالأطفال الآخرين . كذلك ، فإن الصداقة تبصرهم بمعايير السلوك الاجتماعى الذى يتلاءم مع المواقف المختلفة ، وهو ما يتطلب أن يكون الطفل قادرا على أن يتخيل نفسه كما يراه أقرانه فى موقف التفاعل . وكلها كما نلاحظ أمور بالغة الأهمية فى عملية التنشئة الاجتماعية يتعذر على الأسرة القيام بها لا لشيء ، إلا لأنها بحكم دورها تكون عاجزة عن أن توفر للأطفال الفرص اللازمة لتعلم المهارات ، وهذا لا يرجع إلى عيب فيها ، وإنما يرجع إلى طبيعة دورها وعلاقتها بالطفل . .

فالوالدان بحكم ما اكتسباه من خبرة بالطفل يدركان حاجاته ويعرفان مطالبه ، وبالتالي فإنهما يقومان بتلبيتها حتى قبل أن يعبر عنها لفظيا فكأنهما يحولان دون حدوث التفاعل المطلوب ، وذلك بخلاف موقف الطفل في علاقته بالأطفال الآخرين ، فإنه يجد نفسه مضطرا إلى التعبير عن رغباته وحاجاته بصورة يفهمها أقرانه ، وإلا فإنه سيعانى من شعور قوى بالحرمان .

كذلك ، فإنه في علاقته بهؤلاء الأقران يكون في حالة مساواة معهم تتيح له أن يتفاعل كيف يشاء ، فكلهم عيال كما يقولون . وذلك بخلاف علاقته بأبويه ، فإنه يكون أدنى منهما ، وبالتالي يتقيد في تفاعله بكونه صغيرا وأنه ابنهما ، وهو ما قيل : إن جماعات الأطفال تحرر أعضائها وتخلصهم من سلطة الآباء وتدخلهم في علاقات تقوم على التعاون فيما بينهم والتقدير المتبادل والتلقائية أو ما يسمى الندية . وهو ما يسمح للطفل بالتححر مما يفرضه عليه الأبوين ، ويتيح له أن يتعلم كيف ينظر في الآراء فيقبلها أو يرفضها بحسب ما يترأى له ، وذلك على أساس الاتساق الداخلى أو الضبط المتبادل .

وقد تبين من البحوث التى أجريت على عينات من الأطفال ، أنهم يشعرون بقدر من السعادة والمتعة من علاقاتهم بأقرانهم يزيد كثيرا على ما يشعرون به من علاقاتهم بإخوتهم وأخواتهم .

أما بالنسبة لمن هم في مرحلة المراهقة ، فإن للصدقة وظائف أخرى تقوم بها ، فمن بينها أن يتعلموا كيفية أن يشاركوا أصدقاءهم فى الاهتمامات ، والكشف عن المشاعر والأفكار ، وتكوين علاقات تتميز بالثقة المتبادلة معهم .

وينحطى من يعتقد أن الصدقة تضعف علاقة الأخوة داخل الأسرة ، لأنها تفقد الأبناء - أو على الأقل تضعف - اهتمامهم ببعضهم البعض وتقصره على أصدقائهم . والصحيح هو أن الصدقة تحدث آثارا خلاف ذلك ، حيث يمكن لها أن تمنح علاقات الأخوة حيوية ودفئا بما توفره لهم من خبرات ومهارات يمكنهم أن يستخدموها فيما بينهم ، فضلا عن أن هذه الصداقات تكون محورا لأحداث الأخوة فتبدد مللهم وتجدد أفكارهم .

ولما أن كانت التنشئة الاجتماعية تشتمل على عمليتي التعليم والتعلم ، فإن هذه الأخيرة وسيلتها أو أدواتها هي القدوة ، التي يقصد بها أن الخاضع للتنشئة يشاهد شخصا ما يسمى القدوة أو النموذج تصدر عنه استجابات تُعجب هذا الذى يشاهدها فيجد فى نفسه ميلا إلى أن يحاكيها . وكثيرا ما يكون الأصدقاء نماذج اجتماعية يتعلم منها الطفل والمراهق الكثير من الخبرات والمهارات وأشكال السلوك الإيجابية بما فيها مواجهة الضغوط الاجتماعية والتعامل الكفء مع الإناث ، فضلا عن القيم الأخلاقية . من ذلك - مثلا - أنه إذا قام القدوة بالتصدي لشخص شرع فى التحرش بأنثى وقام بحمايتها ، فإنه إذا وقعت عينا الطفل أو المراهق على هذا المشهد ، ثم لاحظ ما تلقاه القدوة من مساندة اجتماعية ، فإنه سيتخذ قدوة له يحاكيه إذا صادف نفس الموقف أو موقفا قريبا منه . غير أنه يشترط لى يحدث سلوك القدوة أثره فيمن شاهده أن تكون بينهما جاذبية متبادلة يشعر بها كل منهما نحو الآخر ، وأن يكونا متماثلين فى الجنس والمستوى الاجتماعى والاقتصادى . أما السن فلا ، لأنه كثيرا ما يتأثر الصغير بالكبير طالما أنه يشعر بجاذبية نحوه أو حتى الإعجاب به ، بالإضافة إلى ما يلاحظه من دعم اجتماعى تقدمه له الجماعة التى ينتمى إليها .



وفضلاً عما تقدم ، فإن للصداقة فوائد اجتماعية أخرى ، هي :

١ - المساندة الاجتماعية : ويقصد بها ما يقدمه الصديق لصديقه من مساعدات مادية ، مثل : الإقراض إذا مر بضائقة مالية وتقديم الهدايا له في المناسبات المختلفة ، ومساعدات معنوية أو أدبية ، مثل : إرجاء النصيح له ، وإظهار التعاطف معه ، ودعم ثقته بنفسه . ونسوق للقارئ هذه الحكاية التي كان بطلها المغيرة بن شعبة ، فقد تقدم إليه خصمان ، فقال أحدهما : إن هذا يدل على معرفة بك . قال المغيرة : صدق ، وإنها لتنفعه . قال الرجل : كيف ؟ أتضلع على في الحكم ( أتميل في الحكم وتجور؟ ) . قال المغيرة : لا ، ولكن انظر ، لئن توجه الحق له أخذته منك بعنف ، وإن توجه الحق لك عليه ، قضيت عنه إليك ، إن المعرفة لتتفع عند الكلب العقور ، فكيف عند الرجل الحر ؟

٢ - تقوية العلاقات الاجتماعية فيما بين الأفراد : حيث إنه إذا كشف أحدهما الآخر بها في سريره ، فإن ذلك يجعل هذا الشخص يشعر بأن صديقه يثق فيه . وبالتالي ، فإنه يكشفه بدوره عما في نفسه فتزداد معرفتهما ببعضهما البعض وتتوطد العلاقة بينهما وتشتد ثقتهما في بعضهما البعض وإحساس كل منهما بالآخر ، بحيث إنه إذا واجه أحدهما ظرفاً سيئاً وجد الآخر إلى جانبه يساعده ويشد من أزره .

٣ - الضبط الاجتماعي : فحيث يقوم التشابه بين اتجاهات الأصدقاء وقيمهم وأفكارهم ، فإن الصديقين من أجل أن تستمر صداقتهما ، يحرصان على أن يحترم كل منهما ما لدى الآخر من هذه الأمور . أما إذا حدث أن صدر من أحدهما ما يعتبر ماساً بما لدى الآخر من قيم أو مبادئ ، فهنا يظهر دور الصداقة باعتبارها أداة من أدوات الضبط الاجتماعي ، فيقوم من



● وأول ما تفعله الصداقة في الشخص هو أنها تخفض ما لديه من

شعور بالوحدة

أصابته الإساءة بمراجعة المسىء وتنبهه إلى ما حدث ، طالبا منه . . إما أن يقدم تفسيراً له ، وإما أن يدعو إلى ألا يكرره .

### ثانياً - الفوائد النفسية :

توفر الصداقة فوائد نفسية كثيرة ، هي في الحقيقة غير مقطوعة الصلة بالفوائد الاجتماعية للصداقة ، لأنه كما هو معروف ، فإن كل أثر نفسي له أصل أو مصدر اجتماعي ، وأول ما تفعله الصداقة في الشخص هو أنها تخفض ما لديه من شعور بالوحدة ناشئ ، لا عن عزله اجتماعياً ، سواء كان قد فرضها على نفسه أم فرضت عليه ، وإنما عن الفرق بين مستوى التفاعل الاجتماعي الحادث فعلاً في وقت ما والمستوى الذي يتطلع إليه ، ذلك لأن ظروف الفرد تختلف فيما توفره له الصداقة من إحساس بالارتياح وجدانياً في الظروف العادية قد يصبح غير كاف ، إذا ما واجهته ظروف سيئة أو انتابه شعور بالخوف أو القلق .

أما بخصوص الخوف والقلق ، فإن الصداقة توفر فائدة نفسية أخرى للفرد هي التي يسميها علماء النفس « الرغبة في المقارنة » ، والتي قالوا : إنها تظهر في أوقات الأزمات أو تحت تأثير الشعور بالوحدة حيث تهتز ثقة الفرد في قدرته على تحمل الضغوط والظروف المعاكسة ، مما يؤدي إلى حدوث انخفاض في تقدير الذات وعدم دقة الأحكام الشخصية ، وبالتالي يزداد استعداده للاعتماد على الآخرين ، سواء كان الغرض من ذلك مقارنة ذاته بذواتهم لكي يتحقق من صواب أحكامه ، أو تعديل آرائه ، أو كان من أجل الحصول على المساندة الوجدانية .

كذلك توفر الصداقة فائدة أخرى ، هي ما يسمى « الإفصاح عن الذات » ، فالناس جميعاً لديهم ميل فطري للحديث مع الآخرين ، سواء

كانت موضوعات الحديث عامة أو كانت خاصة ، وذلك يحقق لهم فوائد عديدة في مقدمتها : التعبير عما في النفس ، أو كما يقول العوام : «التفريج» عن النفس ، وهو الذى يهدف به الفرد إلى التخفيف عن نفسه مما تحمله من هموم كما لو كان يحمل على كاهله أثقالا ينوء بها ، فيطلب من آخرين أن يساعده في حمل بعضها . وهو ما لا بد أن كثيرين يلاحظونه هذه الأيام حتى ممن لا تربطهم بهم صداقة أو حتى زمالة أو معرفة .

أما الفائدة الثانية ، فتسمى « التوضيح » ، وبه يرمى الفرد إلى عرض نفسه على صديقه في صورة جلية . . . سهلة الفهم يمكنه أن يتعامل معها .

وأخيرا . . . يأتى ما يسمى « بالتصديق الاجتماعى » ، والذى يتحقق عندما يقابل الصديق ما قام به صديقه من عرض نفسه عليه بعرض نفسه هو الآخر عليه ، فيجد الصديق الأول أن ما لدى الثانى من آراء واتجاهات وأفكار يؤيد ما لديه هو نفسه ، وهو ما يعد تصديقا له .

ويترتب على مشاركة الأصدقاء فى الميول والاهتمامات الشخصية ، إثارة المشاعر الإيجابية السارة التى تتضمن المرح والترفيه والتسلية ، والتى تبدو أوضح ما تكون لدى الشباب . وهو ما نلاحظه عندما يكونون مجتمعين ، فإنهم لا يكادون يكفون عن الضحك وكأنهم اجتمعوا لأجل ذلك ، إلا أنه من الواجب التنبيه إلى أنه ، وإن كان المرح يعد قاسما مشتركا تقوم عليه الصداقة فى كل المراحل ، كما أنه يعتبر هو واللعب مصدرين حيويين للتنبيه والاستشارة المعرفية ، فضلا عما للضحك والمداعبات من دور فى تيسير التفاعل المتبادل بين الأصدقاء . . . من الواجب التنبيه إلى أنه ينبغى ألا يتفوق على ما يجب على الأصدقاء من المساعدة وغيرها من أنواع السلوك الغير الموجه إلى الغير .

هذه هي الفوائد التي توفرها الصداقة ، وهي بحسب ما تم من بحوث ودراسات صحيحة وحقيقية ، بقدر ما إن الآثار السيئة المترتبة على الانعزال وعدم اتخاذ أصدقاء صحيحة وحقيقية . فهل أعاد الذين يناصبون الصداقة العداء النظر فيما لديهم من أفكار غير صحيحة عن الصداقة ، أو أن الذين يعتقدون أن الصداقة بما تفرضه من واجبات على الصديق تمثل عبئا ثقيلا لا داعى له ؟ غيروا هذا الاعتقاد الذى لا نقول : إنه خاطئ تماما ، ولكن نقول : إنه مبالغ فيه .

ويهمنا أن نطمئنهم إلى أن كثيرا مما اعتبره الفقهاء والعلماء واجبات تقع على عاتق الساعى إلى الصداقة ليست ملزمة فى كل الأحوال ، وإن لصاحب الشأن أن يأخذ بها أو لا يأخذ فى ضوء الظروف والإمكانات ، وهى ليست واحدة فى جميع الأحوال بل تختلف من صداقة إلى أخرى . مثال ذلك : أن تقوم صداقة على الرغبة فى الإفصاح المتبادل عن المشاعر الشخصية ، وتقوم أخرى على الرغبة فى ممارسة الاهتمامات المشتركة . غير أن عمق الصداقة يتوقف على ما يتوفر لها من مقومات ، فكلما تعددت وتنوعت أسس الصداقة زادت العلاقة قوة .





## الفصل الخامس

---

**الشروط الواجب توافرها  
فيمن نتخذه صديقا**

---





سبق أن بينا كيف أن الصداقة تكاد أن تكون هي العلاقة الاجتماعية الوحيدة التي يكون للإنسان فيها مطلق الحرية في اختيار من يصادقه ، ولعلنا نتذكر قول الشاعر :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى      عدوا له ما من صداقته بد  
ولكن ، هل تتجرد الرغبة في اتخاذ الصديق من أى دافع ، أم أن هناك دوافع تكمن وراء إحساس الإنسان بالحاجة إلى أن يكون له صديق ؟

لا يجادل أحد في أن المرء في سعيه لاختيار صديق يكون مدفوعا بأمر من اثنين . . الأول : الحاجة إلى الصديق لسبب أو لآخر ، لأن الإنسان اجتماعى بطبعه . والأمر الثانى : ما يعتريه من الرغبة في البذل والعطاء لشخص أو لأشخاص ، وإن لم يكن يعرفهم بذواتهم فإنه يعرفهم بصفاتهم ، ويرى أن لديه ما يمكنه أن يفيدهم به . وهذا النوع من الأصدقاء ، أى المعطاء ، هو الأرقى والأكثر نبلا وكرما بين الأصدقاء ، بخلاف الذى يسعى إلى الصداقة مدفوعا بالرغبة في تحقيق النفع والحصول على الفوائد فإنه لا شأن له لا بالرقى ولا بالنبل ، وإنما هو انتهازى أنانى ، سيئ الخلق . وربما يخفف من وطأة هذا الحكم عليه أن لا يقف عند الأخذ فقط ، بل يعطى بقدر ما يستطيع حتى تدوم صداقاته ولا تنتهى بسرعة ، ثم يتعذر عليه أن يعقد صداقات غيرها .

وكما عودنا أسلافنا العظام الذين لم يتركوا شيئا إلا وتناولوه بالبحث والدرس والتمحيص ، ثم كتبوا فأفاضوا ، وصنفوا فأجادوا ، وألفوا فأوفوا ،

---

فبلغ ما خلفوه لنا وللعالم الآلاف المؤلفة من الكتب والمراجع ، فقد وضعوا تصنيفات بعضها للصداقة والبعض الآخر للأصدقاء ، رأينا أن نذكرها لأهميتها من ناحية . . ولطرافتها من ناحية أخرى .

### أنواع الأصدقاء :

قسم التوحيدى الأصدقاء إلى نوعين ، وذلك وفقا لما هم عليه من أخلاق ، وذلك على النحو الآتى :

١- **صداقة الأخيار** : وهى تورث الخير ، تنعقد بسرعة وتنتهى فى ببطء ، وشبهها ، فقال : إنها مثل آنية الذهب بطيئة الانكسار ، وإذا انكسرت فهى هينة الإعادة ، أى الإصلاح . لذلك قال لقمان لابنه : جالس العلماء وزاحمهم بركبتك ، فإن الله يحبى القلوب بنور الحكمة ، كما يحبى الأرض الميتة بوابل السماء .

٢- **صداقة الأشرار** : وهى تورث الشر ، كما أنها سريعة الانقطاع ، بعيدة الاتصال ، أى أنه يصعب إصلاحها لإعادتها كما كانت ، فهى مثل آنية الفخار التى يكسرها أدنى شئ ولا جبر لها . كما أن الصديق السيئ يحتاج فى معاملته دائما إلى الملاينة ، وهو أيضا من يضطر صديقه إلى الاعتذار له عن كل صغيرة وكبيرة لبعده عن التسامح .

وصحيح أن العتاب ضرورى بين الصديقين إذا وقع خلاف بينهما ، ولكن بدرجة معتدلة ، فالإسراف فيه يعد إلحاحا . أما صرف النظر عنه فيعد استهانة وتجاهلا للصديق (١) .

وفىما روى عن لقمان الحكيم أنه قال : من يصحب صاحب الصلاح يسلم ، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم .

(١) الصداقة والصديق - أبو حيان التوحيدى .

كذلك حذر بزرجمهر من صداقة الأشرار ، فقال : إياك وقرناء السوء ، فإنك إن عملت قالوا : راءيت ( أريته على خلاف ما أنا عليه ) ، وإن قصرت قالوا : أثمت ، وإن بكيت قالوا : شهرت ( فضحت ) ، وإن ضحكت قالوا : جهلت ( تسافهت ) ، وإن نطقت قالوا : تكلفت ( تكلف الأمر - تجشمه وتحمله على مشقة وعسرة وعلى خلاف عادته ) ، وإن سكت قالوا : عييت ( عدم القدرة على النطق ) ، وإن تواضعت قالوا : افتقرت ، وإن أنفقت قالوا : أسرفت ، وإن اقتصدت قالوا : بخلت .

وقال أعرابي : صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار .

وقال آخر : إخوان الشر كشجرة النار يحرق بعضها بعضا .

أما ابن مسكويه ، فقد قسم الصداقة إلى ثلاثة أنواع ، وذلك بحسب الهدف منها . وتنقسم على النحو التالي :

١ - **صداقة اللذة** : وهى التى يكون الهدف منها الحصول على اللذة ، وهى تنعقد سريعا وتنحل سريعا ، لأنه فضلا عن أن اللذة لا تستغرق وقتا طويلا ، فإنها متغيرة . . فهناك لذة الجنس ، وهناك لذة المال . وهذا النوع أكثر انتشارا بين الفتيان . ونضيف نحن لذة تعاطى المخدرات على اختلافها .

٢ - **صداقة المنفعة** : والهدف منها تحقيق منفعة ما ، وهى تنعقد ببطء وتنحل بسرعة حالما تتحقق المنفعة ، وهى أكثر انتشارا بين كبار السن .

٣ - **صداقة الفضيلة** : وتنعقد سريعا وتنحل ببطئا ، لأن الخير باق بين الناس ، وهى صداقة الأخيار ( تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ) .

أما الماوردى ، فقد قسم الأصدقاء ( الإخوان ) إلى أربعة أقسام ، وذلك وفقا لما أسماه طلب العون أو تقديمه ، وذلك على النحو التالى :

١ - من يعين ويستعين .

٢ - من لا يعين ولا يستعين .

٣ - من يستعين ولا يعين .

٤ - من يعين ولا يستعين .

**النوع الأول :** وهو الذى يعين ويستعين ، فهو معاوض ( أى محب للمعاوضة أو المبادلة ) يؤدى ما عليه ويستوفى ماله ، فهو كالمقرض يسعف عند الحاجة ويسترد عند الاستغناء ، وهو مشكور فى معونته ، ومعدور فى استعانتة . فهذا أعدل الأصدقاء أو الإخوان .

**النوع الثانى :** وهو الذى لا يعين ولا يستعين فهو متروك ، قد منع خيره وقمع شره ، فهو لا صديق يرجى ولا عدو يخشى ، فلا هو مذموم لقمع شره ، ولا هو مشكور لمنع خيره ، وإن كان باللوم أجدر .

**النوع الثالث :** من يستعين ولا يعين فهو لئيم كل ، ومهين مستذل ، قد قطع عنه الرغبة وبسط فيه الرهبة ، فلا خيره يرجى ولا شره يؤمن ، وليس له فى الإخاء حظ .

**النوع الرابع :** وهو الذى يعين ولا يستعين ، فهو كريم الطبع ، مشكور الصنع ، قد حاز فضيلتى الابتداء والاكتفاء ، فلا يرى ثقيلًا فى نائبة ، ولا يقعد عن نهضة فى معونة ، فهذا أشرف الإخوان وأكرمهم طبعًا .

وعلى الرغم من أهمية هذه التصنيفات ، فإنها لا تغنى عن الشروط التى يجب أن تتوفر فيمن نحاول أن نتخذه صديقًا ، والتى إذا لم تتوفر كلها أو بعضها صرفنا النظر عن صداقته لرجحان احتمال أن تفضى إلى أضرار نحن فى غنى عنها .

والفقهاء يختلفون فيما بينهم بشأن الشروط التي يجب أن تتوفر في الشخص الذي نتخذه صديقا ، فمنهم من يتوسع فيها ، ومنهم من يضيق . وذلك على النحو التالي :

### صفات الأصدقاء :

يرى الإمام الغزالي أنها خمسة شروط ، وهي : العقل ، وحسن الخلق ، والصلاح ، والكرم ، والصدق .

أما أبو نجيب ضياء الدين السهروردي ، فإنه يشترط فيمن نتخذه صديقا أن تتوفر فيه ثلاثة شروط ، وهي : أن يكون موافقا لنا في الاعتقاد ، وفي الدين ، وأن يكون حسن الخلق . وهي كما نرى ثلاثة شروط لم يتفق مع الغزالي إلا في واحد فقط ، هو حسن الخلق ، كما أنه لم يذكر الصدق كشرط لقيام الصداقة ، بينما هو أول ما يجب أن يتوفر في الصديق ، لأن الصداقة - كما سبق أن بينا - اسمها مشتق من الصدق ، فيجب على الصديق أن يكون صادقا ، بل وأن يصادق الصادقين . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١) . فهنا يأمر الله تعالى المؤمنين أن يتقوه وأن يكونوا مع الصادقين . فمن أهم صفات المسلم التزام الصدق في قوله وفي فعله .

والصدق عند المسلم هو الحق ، والحق هو أساس الإيمان ، بل وأساس الوجود . أما الكذب فهو الباطل ، الذي يناقض الحق ويعارض الإيمان ويفسد الضمائر ويشوه الحياة . وعلى ذلك فإن المسلم لا يصح أن يتصف بالكذب ، ولا أن يرضى به أسلوبا يتعامل به مع الناس . قال رسول الله ﷺ : ( يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب ) ( رواه أحمد ) ،

(١) سورة التوبة / ١١٩ .

ويقول كذلك : ( أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كان فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب . . ) (١) .

كذلك قال عليه الصلاة والسلام : ( عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة . وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . . وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار . وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ) . ويقول أيضا : ( تحروا الصدق وإن رأيتم أن الهلكة فيه ، فإن فيه الحياة ) (٢) .

### الكذب المسمى بالأبيض :

يوجد لدى الشباب اعتقاد بوجود نوعين من الكذب ، أولهما : الكذب العادى . وثانيهما : الكذب الأبيض . ويعنون به الكذب الذى لا يهدف قائله إلى الإضرار بأحد ، بل إلى المزاح والترويح عن النفس ، ومنه هذه العادة القبيحة لدى الغربيين التى يطلقون عليها كذبة إبريل نسبة إلى الشهر الرابع فى التقويم الغربى أو الجريجورى .

وكثيرا ما نرى الشباب حين يتجمعون يروون هذه الأكاذيب قاصدين الضحك ، كأن يقول أحدهم لآخر : إن اللصوص قد سطوا على بيتهم ، أو أن طالبا من زملائهم مات فى حادثة ، وذلك من أجل أن يذهب أحدهم أو بعضهم إلى بيت هذا الزميل للقيام بواجب العزاء ، أو بإبلاغ المسئولين فى المدرسة لاتخاذ ما يلزم نحو المشاركة فى تشييع الجنازة ، أو تقديم العزاء ،

(١) رواه البخارى .

(٢) أخرجه ابن أبى الدنيا .

أو نشر نعى في الصحف . وكل هذا كذب لا يختلف عن غيره بل قد يكون أبشع منه وأشنع ، لأنه يتسبب في مصائب وكوارث . ولقد قال رسول الله ﷺ : ( لا يؤمن العبد الإيَّان كله حتى يترك الكذب في المزاح ) (١) . بل إن من يعد صبيا صغيرا بإعطائه شيئا إن هو جاء إليه ، يكون كاذبا إن لم يعطه ما وعده به . قال رسول الله ﷺ : ( من قال لصبي تعال هاك ، ثم لم يعطه فهي كذبة ) (٢) .

وليعلم الشباب أن أعظم الكذب ، وأشدّه عقابا ما انتهكت به الحرمات وضاعت به الحقوق ، كشهادة الزور التي تقلب ميزان العدل وتغير وجه الحق . وهو الذي وصفه رسول الله ﷺ بأكبر الكبائر ، فقال : ( ألا أنبئكم بأكبر الكبائر عند الله ؟ - ثلاثا - قلنا : بلى يا رسول الله . قال : الإِشراك بالله وعقوق الوالدين ، وقتل النفس - وكان متكئا فجلس - وقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور . فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت ) (٣) . ويقول تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنيا . أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ (٤) .

وعليه ، فإن الصداقة مهما كانت قوية ومتينة يجب ألا تجعل الصديق يكذب من أجل صديقه ، ظنا منه أنها تملى عليه أن يقف إلى جانبه ظلما كان أو مظلوما . وهو ما يدعو إليه شعار : « صديقى أولا » ، أى قبل كل أحد

(١) رواه أحمد .

(٢) المصدر السابق .

(٣) رواه البخارى .

(٤) سورة النساء / ١٣٥ .

مهما كان ما أصاب الناس منه . وهو الشعار الذى ظهر أولا بين عصابات المراهقين فى الولايات المتحدة وأخذته عنهم السينما الأمريكية فى أفلامها ، مما يسر له الانتشار ، وبالذات فى دول العالم الثالث التى يجعل تخلفها الشباب من أبنائها يشعرون بالدونية فيحاكون كل ما يشاهدونه أو يطرق أسماعهم ، مما يحدث فى الغرب بعامة وفى الولايات المتحدة بخاصة ، ظنا منهم أن فى هذا علاج لتخلف مجتمعاتهم ، بينما الحقيقة أنهم إنما يؤكدون تخلفهم هم أنفسهم وضعف أو انعدام ثقتهم فى أنفسهم وعجزهم عن أن يسهموا فى انتشال مجتمعاتهم من وهدة التخلف ، مع العلم بأن عصابات المراهقين فى أمريكا وغيرها لا يرتبط أعضاؤها برابطة الصداقة ، ولكن ما بينهم لا يعدو أن يكون علاقة إجرامية ، وأن شعار : « صديقى أولا » الهدف منه التستر على المجرم .

الشرط الثانى من شروط الصداقة : أن يكون الصديق أمينا مع صديقه فلا يخونه . قال رسول الله ﷺ : ( لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ) (١) . والأمانة فى حقيقتها صفة نفسية تملئ على صاحبها سلوكا لا يتبدل إزاء كل ما يعهد إليه القيام به ، وكل ما يلتزمه ويتحمل مسئوليته . وهى على هذا الوجه تشمل كل تبعات الحياة صغيرة أو كبيرة وتحيط بكل الأعباء التى تقع على عاتق الإنسان . قال رسول الله ﷺ : ( كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيته ، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته ) (٢) .

الشرط الثالث : أن يكون الصديق متسامحا قال تعالى : ﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه البخارى .



عداوة كأنه ولي حميم ﴿١﴾ . فمن تتخذه صديقا يجب أن تكون صلته بالناس ، وبخاصة أصدقائه ، متسمة بالسماحة ويظللها الحلم ويحيط بها العفو وضبط النفس . قال رسول الله ﷺ - لأصحابه : ( ما تعدون الصرعة فيكم؟ ( أى القوى الشجاع ) ، قالوا : الذى لا تصرعه الرجال ، قال : لا ، ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب ) . ولئن كانت المشاعر الطبيعية للإنسان تدفعه إلى الانتقام وتغريه أن يقابل السوء بمثله ، فهذا حق أباحه الإسلام للنفس البشرية مقيدا بعدم التجاوز . قال تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ (٢) . ولكن الإسلام بعد أن قرر هذا الحق ، أهاب بالإنسان أن يسمو إلى منزلة أعظم من ذلك وأكرم . . منزلة ينالها الإنسان بإيمانه وتقواه . وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ جزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ﴾ (٣) .

وقال رسول الله ﷺ : ( إذا كان يوم القيامة ينادى مناد : ليقيم من أجره على الله فليدخل الجنة ، وهم العافون عن الناس ) (٤) .

وهكذا يكون التسامح والعفو سبيلا من سبل التربية التى تهدف إلى تنقية القلب من مشاعر الحقد والكراهية وتطهره من نزعات السوء ، وبذلك يرتفع يقين المسلم ويزيد إيمانه وكماله ، فتعلو منزلته عند الله ويعظم ثوابه . قال رسول الله ﷺ : ( « ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع الدرجات » ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : « تحلم على من جهل

(١) سورة فصلت / ٣٤ .

(٢) سورة البقرة / ١٩٤ .

(٣) سورة الشورى / ٤٠ .

(٤) رواه الطبرانى بإسناد حسن .

عليك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك ، وتصل من قطعك» (١) .

فالصديق إذا فعل ذلك ، فإنه يدل على إدراكه الصحيح لما يتطلبه أمن المجتمع وسلامه . فليس من شك في أن التعصب وعدم التسامح وترك العفو هي من الشرور التي وإن بدت صغيرة هينة إلا أنها في الحقيقة خطيرة وضارة غاية الضرر ، لأنها تثير الخصومات وتؤجج المنازعات فتضعف لا جماعة الأصحاب وحسب بل المجتمع ذاته . قال تعالى : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ (٢) .

وقال جل شأنه : ﴿ وليعفوا وليصْفَحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ (٣) .

وكما هو واضح ، فإن الشروط الثلاثة المتقدمة ، وهي : الصدق والأمانة والتسامح تعتبر شروطاً أساسية وعامة تقترن بالشروط الأخرى الثانوية التي دعا الفقهاء والعلماء إلى وجوب توفرها فيمن نصادقه . ولنأخذ مثالا ما قاله العتابي لصاحب له : ما أحوجك إلى أخ كريم الأخوة ، كامل المروءة ، إذا غبت خلفك ( كان خليفتك ) ، والمقصود نهض بها تنهض أنت به ، حتى لكأنك حاضر ) ، وإذا حضرت كنفك ( صانك وحفظك وحاطك وأعانك ) ، وإذا بكرت عرفك ( أى إذا تقدمت جازاك ونولك معروفا ) ، وإذا جفوت لطفك ، وإذا برزت ( سبقت ) كافأك ، وإذا لقي صديقك استزاده لك ( زاد من صداقته لك بحديثه الطيب عنك ، ووصفه الجميل لك ) ، وإن لقي عدوك منع عنك ظلمه وشره بما يملك من وسائل ) ، وإذا

(١) رواه الطبراني .

(٢) سورة الأنفال / ٤٦ .

(٣) سورة النور / ٢٢ .

رأيته ابتهجت ، وإذا باثته ( كاشفته في سر من أسرارك ) استرحت . وهذا كله يحتاج إلى أن يكون فاعله صادقا وأميناً ، وإلا فهو لغو لا يعتمد عليه ولا يوثق به .

كذلك ما قاله علي بن عيسى الوزير رداً على العوامي الذي سأله قائلاً : إن الحال بينك وبين أبي مجاهد صفيقة ( قوية متينة ) ، فما الذي قربه منك؟ ونفقه عليك؟ وأولعك به ( حبه إليك )؟ فقال : وجدته متواضعاً في علمه ، هشاً في نسكه ( زهده وتعبدته ) ، كتوما لسره ، حافظاً لمروءته ، شفيقاً على خليطه ( رحيماً بالذين يخالطهم ويعاشرونه ) ، حسن الحديث في حينه ، محمود الصمت في وقته ، بعيد القرين في عصره ( قل أن تجد له نظيراً في زمانه ) . والله لو لم يكن فيه من هذه الأخلاق إلا واحدة لكان محبوباً ومقبولاً . فهل كان علي بن عيسى يثق في صديقه أبو مجاهد لو أنه لم يتأكد من صدقه وأمانته ؟ . . طبعاً لا .

وهنا يبرز شرط آخر من الشروط التي يجب أن تتوفر في الصديق ، هذا الشرط هو أن يكون موضع ثقة صديقه ، وأيضاً أن يكون صديقه موضع ثقته ، لأن ثقة الصديق في صديقه عامل مهم جداً في قوة الصداقة وعمقها واستمرارها رغم ما قد يعترضها من صعوبات . مثال ذلك ما ذكره أبو حيان التوحيدي ( الصداقة والصديق ص ٢ ) من أنه قال لصديق له يدعى أبا سليمان محمد بن طاهر السجستاني : إني أرى بينك وبين ابن سيار القاضي ممازحة نفسية ، وصداقة عقلية ، ومساعدة طبيعية ، وموآاة ( موافقة ) خلقية ، فمن أين هذا؟ وكيف هو؟ فقال : يا بني ، اختلطت ثقتي به بثقته بي ، فاستفدنا طمأنينة وسكوناً لا يرثان ( لا يبليان ) على الدهر ، ولا يحولان ( لا يزالان ) بالقهر .

ولكن أن تثق في شخص هكذا دون بحث أو تمحيص فهو الخطأ بعينه ، وإنما يجب التروى حتى تقوم بما يوصيك به الأعرابي الذي قال : من لم يقدم الامتحان قبل الثقة ، والثقة قبل الأنس ، أثمرت مودته ندما : ليكن الأنس أعلى وأعلى مودتك ، وأبطأها عرضا على صديقك . وهو يقصد بما قاله أن تمتحن صديقك قبل أن تضع ثقتك فيه ، والتي يجب بدورها أن تسبق ائتناسك به ، لأن الأنس إذا قام بين شخصين فإنه يعجل بالثقة . وهذا تسرع غير محمود ، لأنك في امتحانك لصديقك يجب أن تأخذ الوقت الكافي ، وأن تكون بمنأى عن أى مؤثرات . وهو يوصيك بأن يكون الأنس أعلى وأعلى صور المودة التي تقدمها للصديق ، وأيضا أبطأها .

كذلك هو يبين كيف يتمكن إخوان السوء من جعلك تأتنس بهم . ومن ثم يحصلون على ثقتك ، فيقول : إخوان السوء يتفرون عند النكبة ، ويقبلون مع النعمة ، ومن شأنهم التوصل بالإخلاص والمخبة إلى أن يظفروا بالأنس والثقة ، ثم يוכלون الأعين بالأفعال ، والأسماع بالأقوال ، فإن رأوا خيرا ستروه ، وإن رأوا شرا أو ظنوه أذاعوه ونشروه .

بعد أن بينا أهمية الصداقة وضرورتها للإنسان وما يعود عليه من نفع منها ، قد يتساءل البعض عما إذا كان التوسع في اتخاذ الأصدقاء يعنى زيادة الفوائد التي تعود عليهم من الصداقة ، أم أن الأفضل الاقتصار على عدد قليل من الأصدقاء ؟ وما هو العدد الأمثل لهم ؟

### العدد الأمثل للأصدقاء :

بمعنى ، هل الأفضل أن يكون للشخص عدد كبير من الأصدقاء ، أم أن العكس هو الأفضل ، أى أن يكون عددهم قليلا ما استطاع ؟

هناك ما يمكن أن نسميه إجماعا على أن الأفضل أن يكون عدد الأصدقاء



● ولنكتف بواحد ، إن وجد ، فإن الكمال عزيز .

قليلا ، ولعل ذلك يرجع إلى ما نسب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أنه قال : الإخوان بمنزلة النار ، قليلها متاع ، وكثيرها بوار أى هلاك وفساد . فتأثر به المفكرون والفقهاء ليس لأنه صادر عن عمر فقط ، وإنما لصحة المبرر إلى الذى ساقه . ومن هؤلاء الفقهاء ابن مسكويه الذى قال فيه : (ولنكتف بواحد ، إن وجد ، فإن الكمال عزيز . وأيضا إن من كثر أصدقاؤه لم يف بحقوقهم ، واضطر إلى الإغضاء عن بعض ما يجب عليه والتقصير فى بعضه ، ربما تراوحت عليه أحوال مضادة ، أعنى أن تدعوه مساندة صديق إلى أن يسر بسروره ومساندة آخر إلى أن يغتم بغمه ، وأن يسعى بسعى واحد ويقعد بقعود آخر ، مع أحوال تشبه هذه كثيرة مختلفة) . هكذا أضاف ابن مسكويه أسبابا أخرى إلى ما ذكره الخليفة عمر بن الخطاب .

كذلك المفكر أبو الحسن الماوردى ، فإنه يرى أن الأفضل هو قلة عدد الأصدقاء ، ويبرر ذلك بقوله : ( إذا كان التجانس والتشاكل من قواعد الأخوة وأسباب المودة ، كان وفور العقل وظهور الفضل يقتضى من حال صاحبه قلة إخوانه ، لأنه يروم مثله ويطلب شكله وأمثاله من ذوى العقل والفضل ، ولأن الخيار فى كل جنس هو الأقل ، فلذلك قل وفور العقل والفضل (أدب الدنيا والدين) .

وقال بعض السلف : إياك وكثرة الإخوان ، فإنه لا يؤذك إلا من تعرف ، وأنشد :

جزى الله عنا الخير من ليس بيننا ولا بينه ود به نتعرف

فما سامنا ضيما ، ولا شفنا أذى من الناس إلا من نود ونألف

وليس من شك فى صواب هذا رأى ، فكثرة الأصدقاء تمثل عبئا كبيرا على الشخص ، خاصة مع ما رأيناه من كثرة الواجبات الملقاة على عاتق

الصديق مما يكون من شأنه أن يجعله يقصر في القيام بها فيغضب أصدقاءه ، وقد يصرفهم عنه ظنا منهم أنه يعتمد ذلك . وإذا كان أسلافنا ، رضوان الله عليهم ، قد رأوا عدم صواب الإكثار من الأصدقاء ، وقد كانت الحياة على أيامهم غيرها الآن ، فما بالنا نحن إذا كثر أصدقاؤنا ؟! وماذا نفعل إزاء الواجبات الكثيرة التي تفرضها علينا الصداقة لصالحهم ؟! لا شك أننا سنقصر في أدائها شئنا أم أبينا ، وبالتالي نخسرهم كأصدقاء وربما يتعذر علينا اتخاذ غيرهم لما سنشتهر به من تقصير في حق الصداقة وتعمد الإساءة إلى الأصدقاء ، على الرغم مما هو معلوم من أن الصداقة تستحوذ على وقت واهتمام وجهد ومال الصديق الذي هو في الحقيقة ليس متفرغا لها ، وإنما لديه أمور أخرى ومسئوليات يجب عليه الاضطلاع بها ، فهناك الدراسة أو العمل ، وهناك الأسرة والعائلة فضلا عن اهتماماته الخاصة ، مثل : القراءة والرياضة وغيرها . وهو ما يجب أن يأخذه الأصدقاء بعين الاعتبار إذا حدث نوع من التقصير من صديقهم ، فلا يسيئون الظن به بل يلتمسون له العذر.

### الرأى فيمن يصادق عدو صديقه :

كذلك قد يثور التساؤل حول ما إذا كان للصديق أن يطالب صديقه بعدم التعامل مع شخص بينه وبينه عدااء وإلا فصم عرى الصداقة التي بينهما ؟! خاصة وأنا نلاحظ شيوع ذلك بين الشباب حيث نرى الواحد منهم إذا وقع خلاف بينه وبين آخر يدعو أصدقاءه ليخبرهم ، وبشكل حاسم ، بين أن يكونوا معه وفي صفه أو أن يكونوا مع خصمه وفي صفه . وهى مشكلة قديمة تعرض لها الفقهاء والمفكرون ، منهم أبو داود الذى

قال : صديق عدوك حربك أى عدوك ، فهو يرى أن للصديق الحق فى أن يطلب من صديقه أن يمتنع عن التعامل مع عدوه ، وإلا فإنه يكون هو الآخر عدوه ويسرى عليه ما يسرى على هذا العدو !

وهو رأى غريب ، وبخاصة من فقيه كبير مثل أبى داود الذى كان من الواجب عليه أن يتمهل قبل أن يصدر مثل هذا الحكم الذى لو أننا أخذنا به لأصبح الناس فريقين لا ثالث لهما : أصدقاء وأعداء ، وهذا غير معقول . ومثله ما رواه ابن المزبان الكاتب عن أحد الخلفاء العباسيين ، قال : سمعت الخليفة المطيع يقول : صديقك صديقك ، وصديق صديقك صديقك ، وعدوك عدوك ، وصديق عدوك عدوك ، وعدو صديقك عدوك ، وعدو عدوك صديقك .

وإذا كنا قد اعتبرنا ما قاله أبو داود غريبا ، فإن هذا الذى قاله الخليفة العباسى المطيع لا يعتبر كذلك ، لماذا ؟! لأنه صادر عن خليفة ، أى حاكم كبير ، كما أنه يحكم الناس . فإن الخوف على ملكه يحكمه ، وبالتالي فليس لديه وسط ، فإما صديق خالص له أو عدو ، وإذا صادق صديقه عدوه أصبح عدوا له وعامله كما يعامل عدوه . وهذا أمر عادى بالنسبة للحكام الذين يقضون حياتهم خائفين على كراسيهم يشكون فى كل من يتعاملون معهم ، لا يثقون فى أحد ولا يطمئنون إلى أحد وأعدائهم كثيرون ، وغالبيتهم العظمى - من وجهة نظرهم - ممن يطمعون فى عروشهم . وبالتالي ، فإن الأمر لا يحتمل المجازفة فمن يصادق عدوهم يجب أن يدرج فى قائمة الأعداء ويعامل مثلما يعاملون !

ويقول أبو سليمان عن صداقات الملوك : فأما الملوك فقد جلوا عن الصداقة ( أى عظمت أقدارهم عنها ) . ولذلك لا تصح لهم أحكامها ولا



توفى بعهودها ، وإنما هي جارية على القدرة والقهر والهوى ، وما هو محبب إلى النفس ، وما هو غريب ، والاستخفاف أو الاستهانة بالناس وبالأشياء . وباختصار : فإنهم لا يؤمنون بالصداقة ولا يثقون في الأصدقاء ، لأنهم لا يثقون في أحد .

وإذا كان أبو داود قد أخطأ في حكمه ، وكذلك الخليفة العباسي المطيع . فما هو الصواب ؟

الصواب هو ما قاله الفقيه أبو حامد المروزي في رده على ما قاله أبو داود الذي جاء فيه ما يلي :

« هذا هو الإسراف والتجاوز والعداء الذي يخالف الدين والعقل ، لعل صديقك إذا رأيته مع عدوك يثنيه إليك ( يعطفه ) ويعطفه عليك ويعثه على تدارك فائتة منك . ولو لم يكن هذا كله لكان التآنى مقدما على العجل ، وحسن الظن أولى به من سوء الظن . ثم قال : ذهب الإنصاف في العداوة والصداقة وأصبح الناس أبناء واحد ( يقصد أنهم كلهم على سجية واحدة كأنهم ورثوها عن أب واحد ، فهم جميعا متصفون بهذه الصفات ) في الرغبة والرغبة والجهل والجبرية ( التكبر ) والعمل على سابق الهوى وداعية النفس ( ما تدعو إليه النفس من الغى والضلال ) ، وهذا لأن الدين مرخى الرسن ( المقصود أن الدين أصبح مهملا لا يستمسك أحد بحباله ولا يهتم أحد باتباع ما يأمر به ) مخدوش الوجه مفقوء العين مزعزع الركن ، والمروءة ممزقة الجلباب مهجورة الباب ، ليس إليها داع ، ولا لها مجيب ، والله المستعان . »

وهذا الذي قاله المروزي صحيح ، فليس بشرط أن تكون صداقة صديقك لعدوك الدافع إليها الكيد لك والإساءة إليك أو على الأقل التخلي

عن صدّاقته لك ، وإنّما قد يكون في ذلك مدفوعاً بالرغبة في إزالة ما بينك وبين هذا العدو من عداًء ، ربّما يكون قد نشأ عن سعى آخريّن بالوقية بينكما أو لتسرّعك في الحكم على تصرف صدر منه نحوك أو لخطأ ارتكبته أنت في حقّه ، ولكنك تكابر وتصر على أنّه المخطئ . وعموماً ، فإنّ العداوة غالباً ما تكون لأسباب شخصية لا شأن للأصدقاء بها ، وبالتالي لا يصح إقحامهم فيها وإلا فقدناهم .

كذلك ، فإنّ معنى أن نقول : صديق عدوى عدوى ، أننا نعتبر الناس بلا إرادة أو رأى ، وإنّما الإرادة إرادتنا والرأى رأينا ، فمن يرتبط معنا بصدّاقة عليه أن يصادق من نصادق ويعادى من نعادى كأنه إمعة لا رأى له ولا وزن ، وهو ما يقتضى منا أن نسأل أنفسنا : هل نقبل هذا لأنفسنا أم نرفضه؟ وأعتقد أن الإجابة هي نرفضه . هذا إذا كنا ممن يعاملون الناس بمثل ما نحب أن يعاملونا به .

\* \* \*

## خاتمة

بعد أن عرضنا أغلب ما نعتقد أنه يتعلق بالصدقة مما يجب على الشباب أن يلم به ، نقول : إن الموضوع ليس صغيرا ، بمعنى أن كتيباً أو كتاباً أو كتابين أو حتى عشرة كتب تكفى للإحاطة به وإيفائه حقه من الاهتمام ، ولكنه يحتاج إلى عشرات الكتب والكتيبات . وإنما قدمنا لك أيها الشاب القارئ العزيز هذا الكتيب تقديراً منا لظروفك التي لا تترك لك متسعاً من الوقت للقراءة أو لأنك وإن ملكت الوقت فإنك سريع الملل لا تميل إلى قراءة الكتب بصفحاتها الكثيرة ، وتقديراً منا أيضاً لظروفك المالية التي قد يرهقها ثمن الكتاب .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن ما ورد بهذا الكتيب من أمور خاصة بالصدقة ، بالذات ما يتعلق بخصائصها وبالشروط التي يجب أن تتوفر فيمن نتخذه صديقاً ، وما يجب على الصديق نحو صديقه قد يبدو لك مما يتعذر تحقيقه ، وبالتالي فإنك إما أن تنظر في ضوءه إلى ما بينك وبين الآخرين من صداقة على أنه ليس صداقة أو أن تتردد في اتخاذ أصدقاء ، إذا لم تكن قد اتخذت منهم أحداً بعد . لذلك رأيت أن أنبهك إلى أن وضع شروط للصداقة من أجل أن يلتزم بها الشباب عند اختيارهم للأصدقاء ، أو بمعنى أصح لكي يراعونها في هذا الاختيار هو عمل أقرب للمثالية منه إلى الواقعية ، وذلك لأن الإنسان عندما يشعر بالميل نحو إنسان آخر ويرغب في الارتباط به برابطة الصداقة ، فإنه إنما يكون مدفوعاً إلى ذلك بدوافع مختلفة

منها العاطفى ومنها المادى . وهو فى جميع الأحوال يراعى أولا وأخيرا مصلحته ، وما سيعود عليه من هذه الصداقة من نفع ، وكذلك الطرف الآخر الذى سيكون صديقا له .

كذلك ، فإن الصداقة شأنها شأن أى علاقة إنسانية لا تنشأ فى جانب واحد هو أحد الصديقين ، وإنما تنشأ لدهما ، فهى ليست مثل الزواج إيجاب وقبول ، وإنما هى نوع من التوافق ، ولا نقول الاتفاق ، لا يتم بالكلمات وإنما بالمشاعر والعواطف . ومع ذلك ، فإنه نادرا ما تتعادل فيه الكفتان ، بل غالبا ما تكون إحداهما أرجح من الأخرى ، فإذا التقى شخصان وجرى بينهما تعارف وشعر كل منهما بميل نحو الآخر ، فإن أحدهما هو الذى يكون الأشد تأثيرا فى قيام الصداقة ، وذلك بحسب ما يتمتع به من صفات شخصية ومواهب وقدرات تكون أقوى مما لدى الشخص الآخر الذى يجد نفسه منجذبا إلى هذا الشخص منساقا إلى صداقته . وحتى لو أنه غلب على ظنه أنه سيكون الطرف الأضعف فى الصداقة ، فإنه لا يتردد فى الدخول فيها لأسباب مختلفة ليس هذا مكانها ، وهى نفس الأسباب التى تجعل الصديق الذى لحقته من صديقه إساءة بالغة يغتفرها له ويستمر فى صداقته له مبرا ذلك بشتى المبررات التى غالبا ما تكون بعيدة عن الحقيقة ، بينما نجد آخر أو آخرين لا يغتفرون لأصدقائهم مجرد هنات أو هفوات . ومن هنا ، فإن أغلب ما قيل ويقال عن الصداقة هو انطباعات شخصية لا أكثر ، وهو ما لا شك أننا لمسنه فى موضوع أيهما أفضل التوسع أم التضييق فى اتخاذ الأصدقاء ، وكذلك فى موضوع من يصادق عدو صديقه ، وغير هذا وذاك الكثير مما ورد بالكتيب .

لذلك أقول لك أيها القارئ الشاب العزيز : اتخذ الأصدقاء طالما شعرت في نفسك بالحاجة إليهم ، وأيضا طالما وجدتهم ، ولكن التزم بالحذر في اختيارك وامتنع عنهم أو اختبرهم ، فإذا لاحظت أن بهم عيبا أو انحرافا فلا تصادقهم واجعل بينك وبينهم بلادا ولا نقول حواجز ، واحذر على وجه الخصوص من يدمنون الخمر والمخدرات وأصحاب العادات السيئة ، مثل : لعب الميسر ، والتعرض للإناث على وجه يחדش حياءهن ، ومن لا حياء لهم ، ومن يقلدون الغرب فيما لا يفيد ، وضعاف الشخصية ، والمتشبهين بالنساء .

\* \* \*

ن: 1/4478 تاريخ استلام: 15/11/2005



# الدار المصرية اللبنانية

Bibliotheca Alexandrina



0500521